أثر مشروع الشرق الأوسط الكبير على التنمية السياسية في الوطن العربي

إعداد
عبدالله محمود عبدالله الصوالحة

المشرف
الدكتور غازي ربابعة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العلوم السياسية

كلية الدراسات العليا
الجامعة الأردنية

كانون ثاني ٢٠٠٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة "أثر مشروع الشرق الأوسط الكبير على التنمية السياسية في الوطن العربي" وأجيزت بتاريخ ٢٠٠٦/١٢/٢٧.

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
الدكتور غازي ربابعة مشرفاً أستاذ مشارك العلوم السياسية	.....
الدكتور سعد أبو ديه أستاذ العلوم السياسية	.....
الدكتور ذياب مخادمة أستاذ مساعد العلوم السياسية	.....
الدكتور محمد القطاطشة أستاذ مساعد العلوم السياسية (جامعة مؤتة)	.....

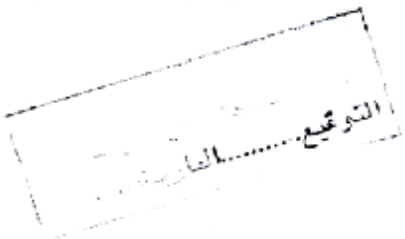

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإهداء

إلى . . .

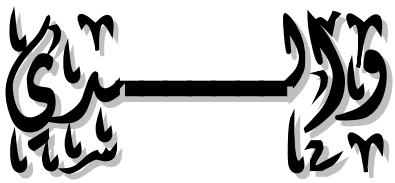

رحمه الله. . .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشكر والتقدير

لا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل وعظيم الامتنان لأستاذي الدكتور: غازي ربابعة الذي أشرف على هذه الدراسة وتابعها خطوة بخطوة وتحمل عناء التدقيق والتمحيص حتى ظهرت بهذه الصورة، كما أتقدم بالشكر والتقدير لعائلتي زوجتي سمر وولدي جرير اللذان وفرا لي الأجواء الملائمة لإعداد هذه الرسالة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
قرار لجنة المناقشة	ب
الاهداء	ج
الشكر والتقدير	د
المحتويات	هـ
الملخص باللغة العربية	ز
أهمية الدراسة	١
أهداف الدراسة	١
مشكلة الدراسة	٢
الدراسات السابقة	٣
الفصل الأول: التنمية السياسية في الوطن ا لعربي	٥
المبحث الأول: هوية الأمة العربية	٨
المبحث الثاني: الديمقراطية	١١
المبحث الثالث: الشرعية	١٤
المبحث الرابع: العقلانية	١٦
الفصل الثاني: مشروع الشر ق الأوسط الكبير	٢٠
المبحث الأول: تعريف بمشروع الشرق الأوسط الكبير	٢٣
المبحث الثاني: ماذا يريد المشروع –الخلفيات السياسية	٢٦
المبحث الثالث: الانتقادات الموجهة إلى المشروع	٣١
المبحث الرابع: المبادرات الأوربية مقابل المشروع الأمريكي	٣٤
المبحث الخامس: مبادرة الإصلاح العربية	٣٩
الفصل الثالث: الشر ق الأوسط بين الكبير والجديد	٤٤
المبحث الأول: الشرق الأوسط في الإستراتيجية الأمريكية	٤٥
المبحث الثاني: السياسة الخارجية الأمريكية والإصلاح السياسي	٤٩
المبحث الثالث: الولايات المتحدة وحقوق الإنسان	٥٣
المبحث الرابع: التحديات التي تواجه الإصلاح السياسي	٥٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الرابع: العالم العربي في بيئة متغيرة	٦٠
المبحث الأول: التغير في مفهوم القوة	٦١
المبحث الثاني: الوطن العربي وطريق التغيير	٦٤
المبحث الثالث: الوحدة العربية	٦٥
المبحث الرابع: الصراع العربي الإسرائيلي	٦٩
الفصل الخامس: بواعث النهضة العربية	٧٢
المبحث الأول: إسهامات العلم العربي الإسلامي في التاريخ الإنساني	٧٤
المبحث الثاني: العلم الإغريقي	٧٧
المبحث الثالث: نشأة العلم الغربي الحديث	٧٩
المبحث الرابع: توقف العلم العربي الإسلامي	٨٣
المبحث الخامس: استخدام الدين	٨٩
المبحث السادس: الارثوذكسية في الإسلام	٩١
المبحث السابع: تجديد رؤيتنا للإسلام	٩٤
الخاتمة	١٠١
المراجع	١٠٨
الملخص باللغة الإنجليزية	١١٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أثر مشروع الشرق الأوسط الكبير على التنمية السياسية في الوطن العربي

إعداد

عبدالله محمود الصوالحة

إشراف

الدكتور غازي ربابعة

الملخص

تناولت الدراسة الأسباب التي تحول دون تحقيق النهضة والتقدم للعالم العربي والعقبات التي تحول دون التحول الديمقراطي وعدم الاستجابة لعمليات التنمية السياسية ومبادرات .

الإصلاح السياسي سواء أكانت داخلية أو خارجية وتستعرض أهم هذه المبادرات التي منها مشروع الشرق الأوسط الكبير ومبادرات الإصلاح الأوروبية والمبادرات الداخلية التي تتبناها النخب العربية. ودور هذه المبادرات في الإصلاح السياسي وانعكاساتها على المنطقة العربية من النواحي السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية.

وتضمنت كذلك الإشارة إلى بعض مظاهر القصور في الفكر والثقافة والتراث العربي وكيفية معالجتها بالاستناد إلى الخيارات التنموية المطروحة أمام العالم العربي للنهوض وتجاوز مرحل التخلف بكل مستوياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

وقد تم استعراض جوانب من تاريخ الحضارات الإنسانية مقارنتها مع الحضارة الإسـلامية العربية في محاولة لتسليط الضوء على أسباب توقف الحضارة العربية الإسلامية وإمكانية اسـتئنافها لمسيرتها.

كما تناولت الدراسة أثر بعض المتغيرات الدولية على العالم العربي ومدى قدرة المجتمعات العربية على تجاوز واقعها المتخلف بالاستفادة من هذه التحولات.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أهمية الدراسة :

تكمن أهمية هذة الدراسة بأنها تحاول ايجاد نمط للعلاقة بين عمليات الإصلاح والتنمية من الداخل (داخل الوطن العربي) وعمليات الإصلاح والتنمية من الخارج ، وتحاول ان تبين ماهي إمكانات وجاهزية الوطن العربي لتقبل التغير بشقية الداخلي والخارجي كما تحاول الخروج برؤية موضوعية كما يمكن ان تقوم علية عملية التنمية والنهضة في الوطن العربي في ظل المتغيرات الدولية ، وذلك عن طريق طرح أفكار وتصورات غير تقليدية كما وتأتي أهمية هذة الدراسة في وقت أصبح فيه العالم العربي بأمس الحاجة لاسترشاد طريق الخروج من محنته المتمثلة بعدم قدرته على اللحاق بركب الأمم والحضارات الأخرى خاصة في ظل المتغيرات الدولية الجديدة التي تفرض نفسها بقوة على العالم العربي وعلى الثقافة العربية .

أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة أساسا إلى :

١- توضيح فكرة مشروع الشرق الأوسط الكبير وأثرها على التنمية السياسية الإصلاح في الوطن العربي .

٢- استجلاء العوامل التي أدت إلى التخلف العربي .

٣- تعريف القارئ بأهم المتغيرات الدولية المؤثرة في المحيط العربي وكيفية التعامل معها.

٤- تبيان الأسس والمرتكزات التي يمكن ان تقوم عليها تنمية حقيقية وفعالة في الوطن العربي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مشكلة الدراسة:

تبحث هذه الدراسة في إشكالية تعثر الوطن العربي نحو تحقيق تنمية ونهضة شاملة والعقبات التي تحول دون التحول الديمقراطي والاستجابة لعمليات الإصلاح السياسي والتنمية السياسية ، وتحاول أيضا إيضاح الأسباب الكامنة وراء التعثر والتخلف العربي والسعي لتلمس اثر بعض المتغيرات الدولية على الواقع العربي بشكل عام ،وتبحث بشكل خاص في اثر مشروع الشرق الأوسط الكبير على التنمية السياسية والإصلاح السياسي في الوطن العربي ،وما يقدمه هذا المشروع وغيرة من مشاريع الإصلاح الخارجية من تحدي للمنطقة العربية في أطلاق عمليات الإصلاح والتنمية على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وحتى الثقافية والتربوية ، كما تحاول هذة الدراسة بث إشكاليات الفكر العربي تاريخيا والدور الذي لعبة أو من الممكن أن يلعبه في تحقيق النهضة العربية .

منهجية البحث:

سوف استخدم في هذه الدراسة كلا من :

-المنهج الوصفي وخصوصا عند جميع المعلومات وتمحيصها وترتيبها ومقارنتها وذلك وفقا لدرجة عالية من الموضوعية البعيدة عن المنهجية الانتقائية في مجال توظيف المعلومات في خدمة فرضية الدراسة.

المنهج التحليلي الذي يقوم على المقارنة بين المعلومات والأحداث والظواهر بهدف الوصول إلى النتائج النهائية التي من شانها ان تدعم صحة الفرضية الرئيسية التي تنبتها الدراسة منذ البداية .

وستكون عينة الدراسة مجمل العالم العربي بوصفة وحدة جغرافية وثقافية ولغوية واحدة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الدراسات السابقة:

١ - دراسة محمد السيد سعيد بعنوان:

(إشكاليات تعثر الديمقراطية في الوطن العربي)[١] وقد قدمت في مؤتمر القاهرة المنعقد في الفترة ٢٩ شباط ٣ آذار ١٩٩٦. ويستعرض في هذه الدراسة التداخل بين عوامل السياسة وعوامل الاقتصاد والثقافة، كما يستعرض نظريات التحول الديمقراطي ونشله، محاولاً إقامة علاقات بين العناصر التي يراها مهمة لتفسير هذا التعثر في المجالات الثلاثة، الاقتصاد، الثقافة، السياسة.

٢ - دراسة عزمي بشارة:[٢]

وقف عزمي بشارة أمام بؤرة واحدة من بؤر الإشكاليات العامة للعالم العربي وهي مسألة المجتمع المدني، ولم يكتفي بشارة بمناقشة مدى فائدة مفهوم المجتمع المدني كمنصة ارتكاز للتحول الديمقراطي في الوطن العربي فحسب بل نعيش على دلالاته الإيدلوجية كما يمكن استشفائها من كونها قاعدة جدول الأعمال الغربي فيما يتعلق بإعادة هيكلية المجتمعات العربية وغيرها من المجتمعات التي تعيش نفس الظروف،

٣ - دراسة عبد الإله بلقزيز بعنوان أسئلة الفكر العربي المعاصر[٣].

اعتبر بلقزيز أن الفكر العربي طور في سياق تراكمه النظري والمعرفي ثلاثة مفاهيم لتعيين مطالب وأهداف التقدم في المجتمع والفكر وهذه المفاهيم هي الإصلاح، الثورة، إعادة البناء، ويعني بالإصلاح تصويب ما أعوج في مسار الفكر العربي وتجديده بحيث يطابق الأصل الذي انحدر منه، أي أنه إعادة ترميم النظام أو المجتمع أو الثقافة.

أما مفهوم الثورة فتعني عكس الإصلاح أي أنه تدمير النظام القائم ونفي وجعيته أي أنه ما يعتبر هدفاً للإصلاح هو فحل هجوم الثورة، أما مفهوم إعادة البناء فهو أعلى من الإسلام من حيث هو لا يبدي قبولاً مبدئياً بالنظام القائم ولكنه أقل من الثورة من حيث أنه لا يحدد نفسه من خارج بنية النظام كما هو حال مفهوم الثورة.

([1]) وقائع مؤتمر القاهرة، ١٩٩٦، الطبعة الأولى، ١٩٩٧، مواطن المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، رام الله، فلسطين.

([2]) المرجع السابق

([3]) بلقزيز، عبد الإله، أسئلة الفكر العربي المعاصر، الطبعة الأولى ٢٠٠١، دار الحوار، اللاذقية- الصور.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤ - دراسة برهان غليون يعنوان العرب وتحولات العالم[1])

يشرح الكاتب في هذه الدراسة كيف أن الحركات القومية العربية قد فشلت في بناء الدولة القومية العربية بالرغم من وجود عناصر التقارب الثقافية واللغوية والتاريخية وغيرها واعتبر أن وجود هذه العناصر وحدها لا تكفي لإحداث نهضة أو تنمية سياسية عربية وإنما لا بد من إيجاد سياسات منظمة واستراتيجيات واعية نابعة من إرادة النخب الحاكمة في تعظيم فرص التقدم عند شعوبها ومن التزامها بخدمة الشعوب وبالتالي فهي مرتبطة بطبيعة النخب السياسية والاجتماعية والثقافية التي تحملها.

(1) غليون، برهان، العرب وتحولات العالم، ٢٠٠٣، الطبعة الأولى المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول

التنمية السياسية في الوطن العربي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التنمية السياسية في الوطن العربي

منذ قرنين على الأقل وتحديداً منذ الاحتكاك العربي مع الغرب خلال حملة نابليون في أواخر القرن الثامن عشر وهاجس النهوض أو الهاجس النهضوي يسكن النخب العربية ويدفعها إلى التحرك بأكثر من اتجاه وعبر أكثر من مدخل لتحقيق النهضة. (١)

أولى المحاولات النهضوية جاءت عبر حركة إصلاح ديني للدولة الإسلامية تسعى لتحرير الممارسات الدينية من الشوائب والمظاهر التي لحقت بها وقد قاد تلك المحاولات مصلحون دينيون أطلقوا حركات دينية أبرزها السنوسية والوهابية والمهدية بالإضافة إلى العديد من الجماعات والأئمة والمصلحين. (٢)

وكانت أيضا هناك محاولات عبر تيار الإصلاح الثقافي والفكري الذي سلكه علماء ومفكرون ورواد في المرحلة التي أطلق عليها اسم عصر النهضة أو التنوير وقد رأى بعضهم العودة إلى الأصول وتجديد التراث طريقا فيما رأى بعضهم الآخر في علمانية الغرب وأسلوب حياته الطريق الأسلم للنهوض. (٣)

لكن المحاولة الأكثر جدية كانت المدخل "الدولتي" أو "السلطوي" أي عبر دولة عصرية قوية فكانت التجربة الأولى في الثلث الثاني من القرن التاسع عشر مع محمد علي وابنه إبراهيم باشا اللذين عملا أول مشروع نهضوي علمي في تاريخنا الحديث ونجحا بالفعل في بناء أسس دولة حديثة في مصر وسعيا إلى مدها إلى بلاد الشام والجزيرة العربية لكن الظروف المعروفة حالت دون استكمال الحلم .

وبقي هذا المدخل الدولتي يطبع العديد من الحالات التي حركت قادة وأحزابا تسلموا مقاليد الحكم في بلادهم كجمال عبد الناصر والبعث والجبهة القومية في اليمن وجبهة التحرير الجزائرية

---

(١) بشور، معن النهوض العربي من أين يبدأ، ١٩٩٧، مجلة المستقبل العربي العدد٢٢٢، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ص١١٤.

(٢) المرجع السابق، ص١١٥.

(٣) المرجع السابق، ص١١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد نجحت في جوانب مهمة لكنها بقيت قاصرة عن أحداث النقلة النهضوية الشاملة لقد أرادوا جميعا بناء الدولة النموذج أو الدولة القاعدة أو الدولة الإقليم لكن محاولاتهم لم يكتب لها النجاح.[١]

لكن البعض يرى أن الفكرة القومية العربية إنما ظهرت أول مرة في لبنان بعد منتصف القرن التاسع عشر وذلك في أوساط مثقفين مسيحيين عرب تأثروا بالثقافة الأوروبية ومن ثم بالحركة القومية التي كانت تسود أوروبا آنذاك وكان تأثيرها قد امتد إلى المناطق الأوروبية من الإمبراطورية العثمانية كبلغاريا والأرمن واليونان وهي المناطق التي قامت تطالب بانفصالها عن الإمبراطورية العثمانية وتكوين دولة خاصة بها؛ ويعتبر ساطع الحصري رائد التنظير للفكرة القومية العربية. [٢]

كما يرى البعض أن الولادة الرسمية للعروبة كعقيدة سياسية حديثة وليس كشعور بالانتماء العام لجماعه عينيه هو المؤتمر العربي الذي عقد في باريس في ١٨ حزيران ١٩١٣ [٣].

ويرجع الفصل الأكبر في حصول معجزة البعث التاريخي للأمة العربية إلى التفاعل البطيء والثابت لعاملين أساسيين مكملين أحدهما الآخر ولو كانا متناقضين في المظهر العامل الأول:هو الدين الإسلامي الذي مثل الملجأ الأخير للغة والثقافة العربية وحفظهما من الضياع والنسيان، أما العامل الثاني فتجسد في الخميرة العقلانية الحديثة التي هزت الفكر الإسلامي بقوة منذ القرن التاسع عشر[٤] .

---

(١) المرجع السابق، ص١١٦.

(٢)الجابري، محمد عابد، ١٩٩٦، المشروع النهضوي العربي مراجعة نقدية، الطبعة الأولى، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ص٩٢.

(٣) غليون، برهان، ١٩٩٤، المحنة العربية الدولة ضد الأمة، الطبعة الثانية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ص٦٠.

(٤) المرجع السابق، ص٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول:

هوية الأمة العربية:

هل العرب كجماعة يشكلون أمة ؟هناك رأيان الأول تقول:أن العرب أمة بالمعنى الحديث للكلمة تكونت قبل الإسلام وعبرت عن نفسها في الأدب والشعر العربي الجاهلي ومن خلال الظروف الخاصة بالحياة في الجزيرة العربية ولم يكن الإسلام نفسه إلا أحد تظاهرات روح هذه الأمة العربية. (١)

الرأي الثاني: رفض فكرة الأمة العربية التي بدت لهم جميعا مثالية وغير واقعية وأكدوا بالمقابل أما على استمرار القوميات التي كانت موجودة قبل الإسلام أو على الطابع الحديث والرأسمالي لتكوين القومية. (٢)

بينما تقوم النظرية القومية الحديثة في الحقيقة على مسلمه كبرى رئيسية هي حتمية تطابق الهوية الثقافية مع الهوية السياسية وهو ما نشير إليه عندما نتحدث عن الدولة الأمة أو عن الأمة وقد تحولت الى دولة وهي تخلط في الواقع بين الأمة بوصفها شعبا متميزا لغة وثقافة وهذا أحد مستوياتها ،وبين الأمة من حيث هي دولة تضم هذا الشعب ،والحال أن هذه الحتمية ليست فعلية ولا تعبر إلا عن ظاهرة تاريخية فريدة،ومن الممكن وجود شعب أو أمة من دون أن تكون قد تحققت كدولة واحدة وأن تكون هناك دول كثيرة ليست بالضرورة مطابقة في حدودها السياسية للهوية الثقافية الواحدة. (٣)

وعلى جميع الأحوال يبدو أنه لن يكون من الممكن حسم الجدال النظري الذي لا يزال دائراً منذ عقود بين أولئك الذين يرفعون شعار وجود الأمة العربية الناجزة وبالتالي التأكيد على أولوية التضامن بين الأقطار العربية وأولويات المصلحة العربية العليا؛ وأولئك الذين لا يرون في

---

(١) المرجع السابق، ص٨٢.

(٢) المرجع السابق، ص٨٤.

(٣) المرجع السابق، ص٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العروبة الا علاقة لغوية لا قيمة سياسية لها ويدافعون على أساس ذلك عن ضرورة تكوين أمم قطرية والتأكيد على المصلحة الوطنية. (١)

ويرى الباحث أن سكان الوطن العربي لم يكونوا في أي حقبة من تاريخهم أقرب إلى بعضهم البعض على مستوى اللغة والثقافة وبالتالي الوعي القومي مما هم عليه اليوم لقد اعتدنا الإشادة بوحدة التاريخ العربي وهذا شيء أكيد غير أن وحدة الحاضر في نفوس العرب وفي رؤى غير العرب هي اليوم اقوي وأعمق من أي وقت مضى.

ويرى محمد عابد الجابري أن هناك غياب في التزامن الثقافي على صعيد الوطن العربي أو على الأقل عدم تحققه كاملاً في أية فترة من فترات التاريخ العربي إلى اليوم أي أن هناك انفصال بين الزمان والمكان في التاريخ الثقافي العربي فالفترة الجاهلية من تاريخ العرب وجدت تحديدا في الجزيرة العربية، ولا يمكن أن نقول أن مصر أو لبنان مثلا عاشت عصراً جاهلياً ثم جاءت الفترة الإسلامية فعاشتها بعض الأقطار العربية دون غيرها حتى أن النهضة العربية التي بدأت في أواخر القرن التاسع عشر كانت في المشرق العربي دون المغرب.

هكذا إذن فإن بعض الأقطار عاشت بعديا الثقافة العربية والوعي القومي العربي فيما المواطن العربي والمثقف العربي يعيش الثقافة العربية أو التاريخ العربي وجدانياً،وبالتالي فإن التزامن الثقافي في الوطن العربي مغرباً ومشرقاً لم يبدأ ولم يتحقق إلا في منتصف الخمسينات من هذا القرن. (٢)

---

(١) المرجع السابق، ص٩٨.

(٢) الجابري، محمد عابد، ٢٠٠٢، تكوين العقل العربي، الطبعة الثانية، بيروت مركز دراسات الوحدة العربية، ص٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

واذا كان العرب قد شكلوا أو لم يشكلوا أمة بأي معنى من المعاني فإن الميلاد السياسي الحقيقي للعرب والعروبة لم يبدأ في العصر الحديث إلا بعد مرور عقود عدة على زوال الدولة العثمانية أي عشية الحرب العالمية الثانية يوم تحقق القضاء على الاستعمار المباشر لكن تحولهم إلى فاعل تاريخي وهو ما يستدعي الوعي الذاتي وتفاعل مفهوم الهوية مع حقيقة الشخصية يكاد لم يبدأ بعد ولم تبدأ كذلك رحلتهم الطويله من اجل التحكم بذاتهم والسيطرة على مقدارتهم وعلى الرقعة الشاسعة لتلك المنطقة الممتدة من المحيط الاطلسي الى الخليج العربي ولا تزال المعركه التاريخيه التي بدأت مع انهيار الدولة العثمانية مستمرة معركة الوطن العربي الداخلية في إعادة بناء الشخصية وتأسيس التوازنات المحلية معركة الارتفاع بهذا الوطن فوق تناقضاته الذاتية وتأكيد وحدته التي تفرضها الثقافة والتاريخ والموقع الجيوسياسي الذي يجعل منه همزة الوصل بين آسيا وأفريقيا وأوروبا.١٣[١]

لقد عاش العرب طوال القرن الماضي على ثلاث قضايا رئيسية على المستوى السياسي هي مقاومة الغرب وتحقيق نوع من الوحدة بين أقطارهم وتحرير فلسطين وها هم العرب اليوم أمام هيمنة الغرب بلا أمل في التحرير منها في المستقبل المنظور وها هي دولهم القطرية تفرض نفسها كواقع يعاند أي تفكير في الوحدة معاندة تامة وها هي إسرائيل قد انتزعت اعترافهم بها بينما يواجه الفلسطينيون مصيرا مجهولا. [٢]

(١) غليون، برهان، مرجع سابق، ص٨١.

(٢) الجابري، المشروع النهضوي العربي، مرجع سابق، ص١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني:

الديمقراطية:

أما على المستوى الفكري فقد صارع العرب من أجل ثلاث قضايا أيضا هي الديمقراطية والشرعية والعقلانية [١]،وفيما يتعلق **بالديمقراطية** فإننا نلاحظ أن غياب الديمقراطية في الوطن العربي غياب مضاعف فهي غائبه ليست فقط على مستوى السياسة مستوى أساس الحكم وأسلوبه بل هي غائبة أيضا على مستوى الأيدولوجيا نفسها داخل المشروع النهضوي العربي ككل فإذا نحن عدنا إلى الفكر القومي العربي واستعرضنا تاريخه منذ بدء اليقضة العربية إلى اليوم ؛نجده يجنح جنوحا قويا نحو تأجيل الديمقراطية، لقد أجلها أيام الكفاح الوطني من أجل الاستقلال وهو تأجيل كان يجد تبريره في أن الديمقراطية لا يمكن أن تكون سليمة وحقيقية في ظل الحكم الأجنبي فضلاً عن أن هذه الأخير قد يعمد إلى استخدامها لتعميق وجوده وإطالة مدته.[٢]

أما بعد الاستقلال وفي منتصف الخمسينات حيث رفع الفكر القومي شعار الوحدة والاشتراكية فقد كان تأجيل الديمقراطية يبرر بضرورة تحقيق الاشتراكية أولا حتى تجد الديمقراطية السياسية الأساس الصحيح الذي يجعلها في خدمة الشعب العامل كما كان ينادي بذلك النموذج السوفيتي الذي كان القدوة في معظم أقطار العالم الثالث.

أما الماركسيون العرب فقد كانوا ينظرون إلى الديمقراطية السياسية بوصفها الوسيلة التي تستعملها الطبقة البرجوازية لفرض سيطرتها على الطبقات الكادحة ولذلك وقف ضدها صراحة، أما التيار الليبرالي العربي فتأجيل الديمقراطية عنده لا يعبر عنه بمثل هذه الصراحة والوضوح بل يتم ذلك من خلال آليات أخرى فالموقف الحداثي الليبرالي الذي ينادي بالأخذ بقيم الحداثة الأوروبية لا يتحمل الديمقراطية إذا كانت تعني حكم الأغلبية لأنه يدرك أن الأغلبية ليست له بل للطرف الآخر

(١) بهاء الدين، أحمد، ١٩٩٩، المثقفون والسلطة في عالمنا العربي، الطبعة الأولى، مجلة العربي، ص٣٢.

(٢) الجابري، المشروع النهضوي، مرجع سابق، ص١٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المنافس له أي الطرف السلفي على وجه الخصوص ،أن الديمقراطية عنده تفقد معناها ووظيفتها إذا لم تكن تعني حكم النخبة العصرية الليبرالية حاملة لواء الحداثة والتحديث[١].

أما الموقف السلفي فهو يرفض الديمقراطية الغربية لأنها تقوم على آليات حديثة لا يحسن استعمالها وكثيرا منها تتناقض مع القيم التي يدعو إليها، فلذلك فهو يفضل المستبد العادل ويركن إلى الشورى التي تعني العمل برأي أهل الحل والعقد وفي مقدمتهم العلماء أي النخبة الحاملة للواء الموقف التراثي نفسه، وتتلخص أطروحته الايدلوجيه بالقول ان مصدر السلطات ليس الشعب كما تقول الديمقراطية بل الله تعالى وبما أن العلماء والمقصود العلماء بالدين والتراث هم ورثة الأنبياء على الأقل في فهم الدين وتطبيق الشريعة فإن السلطة في المجتمع يجب أن تكون لهم على الأقل بوصفهم أهل الحل والعقد أو قسماً أساسياً فيهم ومن هنا فمشاركتهم في الحكم وإشرافهم عليه، لا يتوقف على الديمقراطية بل أنها قد تقف حائلاً أمامهم،ولا يختلف الموقف التوفيقي عند الموقفين السابقين حول المسألة الديمقراطية لأنه يدرك أن توفيقيته لا ترضي الحداثيين ولا السلفيين وبالتالي فهم لن يصوتوا معه في أية عملية ديمقراطية مما يجعل تأجيل الديمقراطية هو الخيار الأسلم [٢].

ويشخص البعض العامل الذي يميز الوطن العربي ويجعل التحول إلى الديمقراطية مستحيلا -بأنه الإسلام- سواء أكان هذا التشخيص صراحة أو ضمناً وبما أن الإسلام لم يزل يعتبر خطراً نظراً إلى بعض الأحداث مثل قضية سليمان رشدي فإن ذلك يعد كافيا في نظر الديمقراطية الغربية للتغاضي عن الحكومات المستبدة وغير الشرعية في الوطن العربي الأمر الذي لا يمكن التساهل معه في مناطق أخرى، أن القول بعدم التوافق بين الإسلام والحكومة الديمقراطية هو قول يدعمه الظرف الذي يشير إلى كون معظم الأقطار الإسلامية غير العربية هي أيضاً غير ديمقراطية. [٣]

---

(١) الجابري، محمد عابد، الديمقراطية وحقوق الإنسان، كتاب في جريدة، العدد ٩٥ يوليو/ تموز ٢٠٠٦، جريدة الرأي بالتعاون مع منظمة اليونيسكو، ص٦.

(٢) الجابري، المشروع النهضوي، مرجع سابق، ص١٤٥.

(٣) سلامة، غسان، ١٩٩٥، ديمقراطية من دون ديمقراطيين، الطبعة الأولى، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ص ١٧٨. (محرر).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أن من السهل جداً القول أن الديمقراطيين الإسلاميين ليسو ديمقراطيين على الإطلاق وأن آرائهم الراديكاليه الثورية ليست ديمقراطية وهناك أقلية مهمة بينهم ترى أن من غير الممكن إجراء أي تفاهم لا مع "الحكام الكفرة" ولا مع "ديمقراطية غربية" تقوم على مجموعة من المبادئ التي ينبغي للمسلمين رفضها وهي أولا: الأفكار الخاصة بسيادة الشعب (خلافا لسيادة الله) ،ثانياً: البرلمانات التي تشرع خارج نطاق شريعة الله خلافاً "لشريعة القرآن الكاملة والبالغة الكمال" ثالثاً: المساواة بين المؤمنين وغير المؤمنين باسم التسامح "وفي هذا ما فيه من عفو عن الردة وهي جريمة أسوأ من الكفر" رابعاً: المساواة بين الرجل والمرأة مما يؤدي إلى تفسح المجتمع وتغلغل الجراثيم الغريبة فيه، خامساً:التعددية السياسية التي تضع على قدم المساواة "حزب الله" الحق ولا يستعمل شرعا مصطلح الحزب إلا في هذا الصدد مع الأحزاب التي تنبثق عن المشاركة السياسية المزعومه التي ترتبها الدولة ذاتها ،سادساً: المفهوم المرفوض الخاص بحكم الأغلبية والقائم على الفكرة الزائفة التي تقول بأن قضايا الحق والعدل يمكن قياسها بالكم وان العدد الأكبر من الاصوات يمكن اعتباره بمثابة موقف أخلاقي أرفع شأناً. (١)

(١) المرجع السابق، ص٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث:

الشرعية

أما القضية الثانية التي صارع من أجلها العرب فهي قضية **الشرعية** ويقصد بالشرعية رضا المجتمع عن النظام السياسي الذي يدير شؤونه واعتقاد المواطنين بأن النمط القائم في توزيع الأدوار والمكاسب هو النمط الذي يستحق الولاء[١] وقد عانت جميع الأنظمة السياسية العربية لفترة ما بعد الاستقلال وحتى اليوم من فقدان الشرعية ويرى ماكس ويبر أنه بدون الشرعية فإن أي حكم أو نظام يصعب عليه أن يملك القدرة الضرورية على إدارة الصراع بالدرجة اللازمة لاي حكم مستقر لفتره طويله[٢] فأي حكم قد يتمكن من تحقيق استمرار وضع ما عن طريق القوة أو العادة ولكن العلاقة بين الحاكم والمحكوم تظل قلقة ومصدر ضعف للسلطة وللوطن معاً إلى أن يقتنع المحكوم بجدارة الحاكم وأحقيته في أن يحكم ويدير له أمور عنه"[٣] وشرعية السلطة توجد إذا كانت السلطة تمثل الإرادة العامة والعقل العام والمزاج العام بنسبة كبيرة تشارف الأغلبية في المجتمع.[٤]

والواقع أن تعارض مصالح الحاكمين مع المحكومين وبالتالي فقدان الشرعية بالنسبة للجهات الحاكمة كان قد تجلى في التاريخ العربي الحديث في ثلاث مراحل الأولى التعارض الذي كان قائما بين النخب العربية والحركة الطورانية التي حاولت إضعاف اللغة والثقافة العربية ولم تراعي مصالح الإقليمية العربية على كثرتها وفاعليتها ضمن الدولة العثمانية الإمبراطورية والمرحلة الثانية التعارض الذي كان قائما بين المحكومين العرب والدول الاستعمارية والذي اتخذ شكل المقاومة المسلحة لإخراج المستعمر وتحقيق الاستقلال الداخلي والمرحلة الثالثة التعارض الذي بد واضحا بين الشعوب العربية وحكامها الذين جاءوا بعد الاستقلال والذين حكموا بغير رضى شعوبهم[٥].

---

(١) نقرش، عبد الله، إشكالية التنمية السياسية في الوطن العربي، ٢٠٠٥، مجلة دراسات العلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد٣٢، العدد٣، عمان- الجامعة الأردنية، ص٥١٤.

(٢) بهاء الدين، أحمد، مرجع سابق، ص٣٢.

(٣) المرجع السابق، ص٣٢.

(٤) المرجع السابق، ص ٤٦.

(٥) الجابري، المشروع النهضوي، مرجع سابق، ص١٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويرى الباحث أن من المظاهر التي نتجت عن فقدان الشرعية للفئات الحاكمة هو الاستبداد الذي رافق جميع المراحل السلطوية الثلاثة التي ذكرناها ويختار خلدون النقيب في دراسته النموذجية لمجتمعات الخليج العربي التركيز على تحليل الصورة التاريخية للدولة والسلطة منذ بداية التدخل الاستعماري وما تشمله هذه الصورة من تفاعل العوامل الخارجية والداخلية معا ويلاحظ النقيب ان اصل الدوله التسلطيه كامن في التاريخ الطويل للتدخل السياسي والعسكري والاقتصادي الإمبريالي الغربي وما نجم عنه من تدمير لشبكات التجارة البعيدة ومن انتقال مراكز السلطة من الشواطئ نحو الداخل القبلي وأخيراً من الحماية الأجنبية في تنصيب زعامات قبلية وراثية مفروضة مكان النزعات التقليدية التي كان يتم تعيينها بالاختيار والمشاورة، وهكذا حلت السلطة المطلقة في جميع أقطار الخليج العربي محل السلطة الديمقراطية القبلية وقد جاءت الثروة النفطية السريعة الناجمة عن اكتشاف الاحتياطي النفطي الكبير لتعميق هذا الخط وتأكيد التحول في طبقة السلطة بما قدمته لها هذه الثروة من وسائل جديدة لتدعيم السلطة الفردية والتعسفيه. (١).

أن مصطلح الاستبداد الذي تستخدمه اليوم لا يعني نفس ما كان يعنيه في الماضي فقد كان معناه الأصلي تركز القرار السياسي كله في يد الملك أو السلطان لمواجهة تكتلات المصالح والسلطات العصبوية المنافسة والمهددة للدولة أو ما نسميه القوى النابذة بينما لا يعني اليوم إلا ممارسة القهر وتقييد الحريات لمواجهة المطالب الفردية والجماعية المتزايدة من أجل الاندماج والمشاركة في الحقوق والمنافع المرتبطة بالدولة الوطنية، فالديكتاتورية لا تنبع من الحاجة إلى سلطة مركزية شديدة تضمن وحدة الدولة في مواجهة النزعات الانفصالية ولكن من الرغبة في بناء نظام سياسي يمنع القوى الاجتماعية النازعة إلى الاندماج في الدولة من ممارسة ضغطها وحريتها وترتبط بالتالي بمسألة الشرعية فالمعارض في الدولة الحديثة لا يهدد سيادة الدولة وإنما يهدد شرعية النظام في حين أن الأمير أو السيد الاقتطاعي كان ينطلق من تأكيد مفهوم واحد للشرعية من أجل تبرير تقسيم الدولة وتحطيم السيادة. (٢).

المبحث الرابع:

العقلانية:

---

(١) غليون، برهان، المحنة العربية، مرجع سابق، ص١٢٣.

(٢) المرجع السابق، ص١١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما القضية الثالثة التي كانت محل بحث وصراع فكري عنيف في التاريخ العربي فهي مسألة **العقلانية** ونقصد بالعقلانية تلك الحركة الهائله من النقاشات والمجادلات التي رافقت مشاريع النهضة العربية والتي كانت تدعو إلى إحلال العقل والعلم والحداثة مكان التراث أو التمسك بالتراث في مواجهة العقل المتعلمن أو محاولة التوفيق وإيجاد خيط مشترك بين الأصالة والمعاصرة.

ويرى الباحث أن الحوار الذي كان دائرا وما يزال بين مفكري النهضة العربية والمثقفين العرب حول جدلية التراث والحداثة قد شكل جوهر معظم الطروحات والنظريات التي قدمت لتأسيس فكر عربي نهضوي ولم يخلو أي مؤلف مهما عظم شأنه أو صغر من التطرق الى هذه الإشكالية.

وفي هذا المجال طرح زكي نجيب محمود سؤاله للفكر العربي المعاصر بحيث يضمن له أن يكون عربيا حقا ومعاصر حقا إذ قد يبدو للوهلة الاولى ان ثمة تناقضا بين الحدين لانه اذا كان عربيا خالصا اقتضى ذلك منه أن يغوص في تراث العرب الاقدميين حتى لا يدع مجالاً لجديد وأما إذا كان معاصراً خالصاً كان محتوما عليه ان يغرق الى اذنيه في هذا العصر بعلومه وادابه وفنونه وطرائق عيشه حتى لا تبقى أمامه بقية ينفقها في استعادة شيء من ثقافة العرب الأقدميين . (١)

ثم يضيف: ترانا نحن العرب أحد رجلين أما ناقل لفكر غربي وأما ناشر لفكر عربي قديم فلا النقل في الحالة الأولى ولا النشر في الحالة الثانية يصنع فكرا عربيا معاصرا لاننا في الحالة الاولى سنفقد عنصر العربي وفي الحالة الثانيه سنفقد عنصر المعاصره . (٢)

ويرى فريق آخر أن الإخفاق المتجدد والدائم في استيعاب الحضارة هو المصدر الأساسي والوحيد لاستمرار الحديث عن الهوية والتراث والمعاصرة بينهما وهذا الجدال التاريخي الدائم بين القديم والحديث لا يهدف فعلا إلى حل مشكلة الحضارة ولا الذاتيه ولا الى ايجاد نظريه في النهضه ولكن يؤكد بالعكس غيابها وغياب الوعي النهضوي، وهو في استخدامه لمسألة التراث والحداثة كسلاح في حرب ايدلوجيه سياسية مستمرة يخفي في الواقع مشكلة كبرى أساسية من مشكلات النهضة ألا وهي مشكلة الثقافة العربية ذاتها وما تتعرض له من تهديد وانقسام وتوتر وانحلال

(١) نجيب محمود، زكي، ١٩٩٣، تجديد الفكر العربي، الطبعة التاسعة، بيروت دار الشروق، ص١٠.
(٢) المرجع السابق، ص٢٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالتراثي يلغي هذه المشكلة برفض الاعتراف بأزمة الثقافة والحداثي يقضي عليها بـــالقول أن هـــذه الأزمة دليل على عدم أهلية الثقافة العربية وتأكيد على ضرورة التخلي عنها. (١)

ولكن ينبغي أن ندرك وأن نقبل فكرة أن التراث لا يتضمن حلـــولاً جـــاهزة لا كليـــة ولا جزئية للعصر، وهذا ينطبق على تراثنا وتراث غيرنا فالحلول تصوغها الجماعات في كل حقبه مـــن التفكير في المشاكل التي تواجهها، ولا تستمدها من التراث أو من الغير،ولم تقم النهضة في الغـــرب او في الشرق لأنهما كانا يمتلكان تراثا أفضل من غيرهما ،فالنهضة هي التي تخلق بشكل ما التراث عندما تعيد تأويله وتفسيره وتستوعبه ضمن إشكاليتها وبمعنى ما إذا فقدت الجماعة كفاحها من أجـــل إيجاد حلول جديدة لمشاركتها فقدت الحاجة إلى التراث والمرجع وأفقدت التراث قيمتة أيضاً. (٢)

ويرى الباحث أنه لا يجوز ربط مسألة النهضة والتقدم بالتراث لأن مسألة النهـــضة لهـــا شروط تاريخية واقتصادية واجتماعية متعددة، ولكن يجب أن لا يكون التراث جثة في متحف وإنمـــا رافعة للتحرك وعلينا أن نطرح السؤال التالي ما هي علاقتنا بهذا التراث وماذا يمكن أن نأخذ منـــه وهل يخدم عملية التطور والتقدم بجوانبها المختلفة السياسية والاقتـــصادية والاجتماعيـــة وكمـــا أن التراث لم يكن سبباً في تخلف العرب وتأخرهم فهو ليس بالضرورة سبباً في تقدمهم وما كان عـــاملاً من عوامل النهضة التاريخية الماضية ليس بالضرورة عاملا في النهضة المقبلة

إن القول بأننا لم نقم بما فيه الكفايه حتى نطور ثقافتنا ونغنيها في كل جوانبهـــا ونظمهـــا العملية الفكرية والأدبيه حتى تصبح ثقافة معاصرة، وإننا لم نقم بدراسة تراثنا دراسة علمية ومتأنيـــه حتى ننقيه من كل ما هو غير مفيد لنا هو قول صحيح، أما القول بأن ثقافتنا وتراثنـــا متخلـــف ولا عقلاني ولا علمي اوجامد او فقير فهوكلام غير صحيح إطلاقا وهو من قبيل رفض الذات والاستقالة الوطنية المعنويه التي تعبر عن نجاح الهيمنة الأجنبية في أشعارنا واقناعنـــا بـــدونيتنا ولا معقوليـــة وجودنا. (٣)

والسؤال الذي يطرحه العقل النقدي هو لماذا تحول التراث في ذهن البعض إلـــى عقيـــدة سلبية وتدميرية لم تحتفظ منه إلا بأمور العقوبات والمنع والتحريم ونسيت جوانبه العقلية والإيجابيـــة

(١) غليون، برهان، ١٩٨٥، اغتيال العقل، الطبعة الأولى، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر، ص٣٠٨.
(٢) المرجع السابق، ص١٩٠.
(٣) المرجع السابق، ص ٣١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المثريه، ولماذا يصبح لهذا الخطاب صدى في الأوساط الشعبية وعند المثقفين، ولا يجب أن يعمينا هذا الخطاب عن حقيقة التراث والتعامل معه، فنقع في فخ الذين يريدون أن يماهوا أنفسهم مع التراث فلا نرى منه إلا ما يريدون لنا أن نرى فيه ولا ندركه إلا في البعد الذي يستخدمونه به وننسى أبعاده الثقافية. (١)

إن مصير النهضة ليس مرتبطاً بإحياء التراث لوحده أو باستيعاب الحداثة والحضارة وحدها وإنما الاحتفاظ بهذا التناقض الحي بينها أي بهما معاً ،بل أنه يعني ان القدره على الابداع والابتكار والنهضه مرتبطه بالسماح لهذا التناقض أن يتعمق ويستمر ولهذا فيجب إحياء أكثر ما يمكن من التراث والانغراز أكثر ما يمكن في العمق التاريخي العربي من جهة والى استيعاب أكثر ما يمكن من الحضارة والارتماء أكثر ما يمكن في حركة التاريخ الكونيه العامة من جهة ثانية ،ولا نعتبر أن هناك من وجهة نظر النهضة تناقضا بين أحياء التراث واستيعاب الحضاره بل العكس هو الصحيح ان قدرتنا على الاستيعاب تزداد بازدياد انغرازنا في التراث وتمتعنا بهوية مستقله وغنية، وأن تعمق هذه الهوية يزداد أيضا بازدياد استيعابنا للحضارة وسيطرتنا عليها، فالذاتية العربية هي ثمرة لهذا الإبداع الذي يوجد بين التراث والحضارة وبتجاوزها في الوقت نفسه. (٢)

---

(١) المرجع السابق، ص٣١٦.

(٢) المرجع السابق، ص٣٤٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني

مشروع الشرق الأوسط الكبير

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مشروع الشرق الأوسط الكبير

يرجع مفهوم الشرق الأوسط إلى رجل الاستخبارات البريطاني الجنرال توماس إدوارد جوردن (١٨٣٢-١٩١٤) Thomas Edward Gordan الذي كان أيضا مديراً للبنك الإمبراطوري الفارسي ،في مقاله كتبها عام ١٩٠٠ ينبه فيها الحكومة البريطانية الى الخطر الروسي على المصالح البريطانية في الهند خاصة من خلال تقدمها في بلاد فارس ،إيران حاليا ولكن مفهوم الشرق الأوسط ارتبط في الأوساط الأكاديمية بالجنرال الأمريكي (الفرد ماهان) Mahan ضابط البحرية الذي كتب مقاله عام(١٩٠٢) عن الخليج العربي والعلاقات الدولية نشرت في إحدى الدوريات البريطانية وقد نبه الحكومة البريطانية لأهمية منطقة الخليج العربي الذي أطلق عليها الشرق الأوسط للإمبراطورية البريطانية ومصالحها في الهند. (١)

وقد أخذ مصطلح الشرق الأوسط يتردد فيما بعد في الدوائر الاستعمارية الغربية حتى تم تأسيس قيادة الشرق الأوسط في القيادة العسكرية للحلفاء في الحرب العالمية الثانية، وعندما أعلنت دولة إسرائيل ١٩٤٨ اعتبر بن غوريون أن إسرائيل تقع في محيط من العرب السنة ،فركزت إسرائيل على مفهوم الشرق الأوسط للتدليل على أن المنطقة ليست ذات أغلبية عربية وإنما هي اقليات دينية وعرقية ولذلك أهتمت وسائل الإعلام الإسرائيلية والدوائر الحكومية فيها بالترويج لمفهوم الشرق الأوسط وقضية الشرق الأوسط.

وبعد عقد مؤتمر مدريد للسلام عام ١٩٩١ طرح شمعون بيريز مفهوم الشرق الأوسط الجديد وألف كتابا يحمل نفس المفهوم يدعو فيه إلى اختراق العالم العربي عبر النشاط الاقتصادي الإسرائيلي للمنطقة العربية، وطرح شعار التقنية الإسرائيلية والعمالة العربية والأموال الخليجية، ولكن مفهوم الشرق الأوسط الجديد لم يرى النور بسبب فشل عملية السلام وانهيار اتفاقية اوسلو ١٩٩٣، وقد انتقد اليمين المتطرف الإسرائيلي وحزب الليكود مفهوم الشرق الأوسط الجديد واعتبر أن القوة العسكرية هي السبيل إلى الهيمنة الإسرائيلية في المنطقة وليست الروابط الاقتصادية وقد

(١) البرصان، أحمد سليم، ٢٠٠٤، مبادرة الشرق الأوسط الكبير، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٥٨، المجلد٣٩، ص٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نقلت صحيفة معاريف الإسرائيلية عن بنيامين نتنياهو رئيس وزراء إسرائيل الأسبق قوله "علينا أن ننسى الشرق الأوسط الجديد هذا ،لا يوجد شيء بهذا المعنى"(١)

أظهرت أحداث الحرب العالمية الثانية القيمة الاستراتيجية للمنطقة ،حين هاجمت القوات الانجلو _ أمريكية في عامي ١٩٤٣،١٩٤٢ القوات الألمانية والإيطالية المهزومة أثناء حملة شمال أفريقيا، وبعد ذلك بوقت قصير عزز إدراك أن إعادة بناء أوروبا واليابان- وكذلك الانتعاش الاقتصادي في الولايات المتحدة في أعقاب الحرب- سيعتمد أكثر وأكثر على نفط الشرق الأوسط الذي يمثل ثلثي مخزون النفط في العالم الأهمية السياسية للمنطقة في أعين واضعي السياسة في واشنطن وباتت بذلك قيمة الشرق الأوسط مرتبطة بالوقت ذاته بالحرب الباردة الناشئة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي.

ولذلك كان التعريف المعتاد للمصالح الأمريكية في الشرق الأوسط يتكون في المقام لأول من ثلاث نقاط كانت إحدى تلك النقاط هي أن الاتحاد السوفياتي منافس الولايات المتحدة وخصمها الكوني لم ينجح في مد الهيمنة إلى داخل الشرق الأوسط إلا أنه بعد الحرب العالمية الثانية ومع وجود التنافس الأمريكي الروسي على النفوذ في إيران وتركيا وترسيخ هيمنة الكرملين في أوروبا الشرقية، كان هناك خوف حقيقي من أن يتسع النفوذ الروسي بسرعة ليصل إلى الشرق الأوسط وربما بات من الصعب وقفه ، وطوال فترة ما بعد الحرب العالمية الثاني وحتى عام ١٩٩٠ كانت مشكلة كيفية التعامل مع الاتحاد السوفياتي هي المشكلة رقم واحد على قائمة واضعي سياسة الشرق الأوسط في واشنطن(٢).

كان النفط هو القضية الثانية وهناك أوقات كان لوصول فيها إلى النفط أمراً مفروغاً منه غير أن الجميع كانوا يدركون أن منطقة الخليج هي أكبر مصدر موحد للنفط في العالم ، والواقع أنها تمثل الأهمية الاستراتيجية من هذه الناحية بالنسبة للولايات المتحدة.

---

(١) المرجع السابق، ص٤٣.

(٢) LESCH, DAVID, 2003. The Middle East and the United States, West view Press, United States, p.460.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما القضية الثالثة فكانت العلاقة الخاصة بين الولايات المتحدة وإسرائيل ولم تكن تلك العلاقة مريحة دائماً بل أن كل رئيس منذ ترومان كان يشعر بالتزام خاص تجاه أمن إسرائيل ورفاهيتها لم يكن يضاهيه أي التزام مباشر تجاه أي دولة واحدة في المنطقة[١].

ويرى الباحث أنه إذا فهمنا هذه النقاط الثلاث على أنها تعريف واشنطن للمصالح الكبرى في المنطقة –احتواء الاتحاد السوفياتي والنفط وإسرائيل- فحينئذ نستطيع أن نقرر مقدار ما حققته السياسة الأمريكية من نجاح مقارنة مع سياستها بمنطقة جنوب شرق آسيا مثلا، فالتكلفة البشرية والاقتصادية التي تحملتها الولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط لا تكاد تذكر بالنسبة لما تحملته من خسائر بشرية ومادية في جنوب شرق آسيا حيث قتل في حرب فيتنام حوالي خمسين ألفاً من الجنود الأمريكيين وبشكل عام فإن ما تحمله الولايات المتحدة في تحقيق سياستها في الشرق الأوسط محتملة وحققت الأهداف الأساسية بنجاح، ولو لم يكن بإمكان الولايات المتحدة الوصول إلى النفط بأسعار منخفضة في الخمسينات والستينات لكان إعادة بناء أوروبا واليابان على أسس ديمقراطية ووقوفها سداً منيعاً أمام المد الشيوعي أمراً مستحيلاً لقد كان الشرق الأوسط مناسباً لاستراتيجية الولايات المتحدة إلى حد ما في تلك الفترة[٢].

المبحث الأول:

تعريف بمشروع الشرق الأوسط الكبير:

طرحت الولايات المتحدة على مجموعة الدول الصناعية الثماني التي انعقدت في سي ايلاند في ولاية جورجيا في حزيران ٢٠٠٤ مبادرة مشروع الشرق الأوسط الكبير، ويشير مصطلح الشرق الأوسط الكبير الذي عنته هذه المبادرة إلى جميع بلدان العالم العربي إضافة إلى كل من باكستان وأفغانستان وإيران وتركيا و إسرائيل .

وتهدف هذه المبادرة إلى أجراء إصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية في هذه البلدان وقد اشتملت هذه المبادرة على ثلاثة محاور رئيسية هي:

١- تشجيع الديمقراطية والحكم الصالح.

---

(١) LESCH, DAVID, Ibid. p.461

(٢) LESCH, DAVID , Ibid. p.461

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢- بناء مجتمع معرفي.

٣- توسيع الفرص الاقتصادية.

وقد انطلق واضعو هذه المبادرة في حاجة المنطقة للإصلاح من تقرير التنمية البشرية العربية لعام ٢٠٠٢ و ٢٠٠٣ الصادر عن الأمم المتحدة اللذان أظهرا إحصائيات وحقائق ملفتة عن بلدان تلك المنطقة ونداءات مقنعه وملحة للتحرك في منطقة الشرق الأوسط الكبير.

وبالنسبة لمبادرة الشرق الأوسط الكبير فإن تلك الاولويات الثلاثة تمثل السبيل إلى تنمية المنطقة فالديمقراطية والحكم الصالح يشكلان الإطار الذي تتحقق داخله التنمية والأفراد الذين يتمتعون بتعليم جيد هم أدوات التنمية والمبادرة في مجال الأعمال هي ماكينة التنمية[١].

وفيما يتعلق بالمحور الأول **(تشجيع لديمقراطية والحكم الصالح)** فقد دعت المبادرة إلى إجراء انتخابات حرة رئاسية وبلدية، والطلب من مجموعة الثماني تقديم المساعدة في هذا المجال كما دعت إلى تعزيز دور البرلمان في دمقرطة البلدان من خلال تطبيق الإصلاح التشريعي والقانوني وتمثيل الناخبين .

ومن أجل زيادة مشاركة النساء في الحياة السياسية والمدنية دعت المبادرة إلى تأسيس معاهد تدريب خاصه بالنساء تقدم تدريباً على القيادة للنساء المهتمات بالمشاركة في الحكم.

ولإيجاد إعلام مستقل ومحترف اقترحت المبادرة إقامة برامج تدريب للصحفيين المستقلين وتقديم منح دراسية لهم وتمويل برامج تتصل بحرية الصحافة.

وحول الجهود المتعلقة بالشفافية ومكافحة الفساد فقد حثت المبادرة دول المنطقة على تبني مبادئ الشفافية ومكافحة الفساد الخاصة بمجموعة الثماني.

وأخذا بالاعتبار أن القوة الدافعه للإصلاح الحقيقي في الشرق الأوسط يجب أن يأتي من الداخل، شجعت المبادرة على تطوير منظمات فاعلة للمجتمع المدني خاصة تلك المنظمات المهتمة بحقوق الإنسان والمرأة ووسائل الإعلام.

---

(١) جريدة الحياة اللندنية، ٢٠٠٤/٢/١٣، موقع جريدة الحياة الإلكتروني www.daralhyat.com.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما المحور الثاني الذي تبنته المبادرة كأولوية **(بناء مجتمع معرفي)** فقد ارتكز على عدة مبادرات فرعية هي:

١- مبادرة التعليم الأساسي –محو الأمية ،وفرق محو الأمية، والكتب التعليمية،ومدارس الاكتشاف.

٢- إصلاح التعليم.

٣- مبادرة التعليم في الإنترنت.

٤- مبادرة تدريس إدارة الأعمال[١].

تجسير الهوة الاقتصادية للشرق الأوسط الكبير يتطلب تحولاً اقتصادياً يشابه في مداه ذلك الذي عملت به الدول الشيوعية سابقاً في أوروبا الشرقية هذا ما ركز عليه المحور الثالث **(توسيع الفرص الاقتصادية)** حيث اقترحت المبادرة على مجموعة الثماني اتخاذ الخطوات التالية:

١- مبادرة تمويل النمو وتشتمل على إقراض المشاريع الصغيرة ومؤسسة المال للشرق الأوسط الكبير وبنك تنمية الشرق الأوسط الكبير والشراكة من أجل نظام مالي أفضل وتنفيذ خطط الإصلاح التي تقتضي سيطرة الدولة على الخدمات المالية وتحديث الخدمات المصرفية.

٢- مبادرة التجارة الحرة بين بلدان الشرق الأوسط الكبير.

٣- الانضمام لمنظمة التجارة العالمية.

٤- المناطق التجارية الحرة.

٥- مناطق رعاية الأعمال.

٦- منبر الفرص الاقتصادية للشرق الأوسط الكبير[٢].

المبحث الثاني:

ماذا يريد المشروع- الخلفيات السياسية للمشروع:

---

[١] المرجع السابق.

[٢] المرجع السابق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أكد الرئيس جورج بوش في خطاب له أمام المجلس الوطني لتنمية الديمقراطية في نوفمبر ٢٠٠٣ أن السياسة الأمريكية التي امتدت لنحو ٦٠ عاماً في تأييد حكومات لا تلتزم بالحرية السياسية قد فشلت ،وأضاف أن واشنطن قد تبنت استراتيجية مستقبلية جديدة للحرية في الشرق الأوسط . [١]

يرى الباحث أنه بتدشين مشروع الشرق الأوسط الكبير تكون المنطقة العربية قد تعرضت وللمرة الثالثة لمحاولات إعادة صياغة أوضاعها وكانت هذه المنطقة قد شهدت محاولتين سابقتين لترتيب خارطتها الجغرافية السياسية وفق مصالح الدول الكبرى المهيمنه على النظام الدولي أولاهما بعد الحرب العالمية الأولى حين انحسر النفوذ العثماني في هذه المنطقة التي أخضعت للانتداب الاستعماري بعد تجزئتها إلى مناطق نفوذ بين الدول الاستعمارية الأوروبية.

وقد أصيبت الحركة التحررية –النهضوية العربية الوليدة آنذاك يخيبه أمل نتيجة عجزها عن إنجاز مشروعها وبسبب الأوهام التي داعبتها في الاعتماد على الحلفاء، ولم تكن هذه الانتكاسة للطموحات العربية نتيجة لاختلال موازين القوى لصالح الغرب فحسب، وإنما كانت أيضا نتيجة لتخلف البنى المجتمعية السياسية والاقتصادية العربية وظمورها وهشاشتها بعد أربعة قرون من الحكم العثماني.

أما الصياغة الثانية لأوضاع المنطقة فقد حصلت بعد الحرب العالمية الثانية فقد دفع العرب للمرة الثانية ثمن التحولات في الخارطة السياسية الدولية (الصراع بين الشرق والغرب) إذ تمت صياغة العلاقات الدولية من جديد على أساس هذه التحولات حيث نالت الدول العربية استقلالها وبقيت علاقات السيطرة الامبريالية باطرها الجديدة :السياسية والاقتصادية والتقنية، تحول دون امكانية تحقيق الاستقلال السياسي التام، فظلت هذه الدول أسيرة علاقات الهيمنة والتبعية للدول الاستعمارية الكبرى في إطار من علاقات التجزئة المحكمة. [٢]

طيلة العقود الخمسة الماضية لم تفعل الولايات المتحدة الشيء الكثير لتشجيع الإصلاحات والديمقراطية في الوطن العربي وبدلا من ذلك اعتمدت على القادة الديكتاتوريين مثل مصر

---

(١) البرصان، أحمد سليم، مرجع سابق، ص٤٢.

(٢) كيالي، ماجد،٢٠٠٤، مشاريع الإصلاح في المنطقة، مجلة شؤون عربية، العدد١١٩، جامعة الدول العربية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والسعودية وإيران وبعض الدول الأخرى لمساعدتها في تحقيق مصالحها الحيوية في المنطقة، لكن في صبيحة اليوم التالي للحادي عشر من سبتمبر تغيرت أولويات الولايات المتحدة في الشرق الأوسط وبدأت تؤمن بأهمية الديمقراطية والتي كانت قد ضيقت الخناق عليها في الماضي بحجة الأمن والاستقرار، لقد كان الهجوم على البنتاغون وتحطيم مركز التجارة العالمي سبباً رئيسيا في تغيير سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط فالأنظمة التسليطة العربية لم يُعد ينظر إليها على أنها مصدر الاستقرار بل على العكس أصبحت تهدده وأصبح تجفيف المستنقعات التي تفرخ المتشددين خاصية مركزية لسياسة الأمن القومي الأمريكي. (١)

في حزيران ٢٠٠٤ نشر جوزيف ناني Joseph Nye نائب وزير الدفاع الأمريكي الأسبق وعميد كلية الحكومة في جامعة هارفرد مقالة في مجلة Foreign affairs قال فيه "أن القوة الناعمة Soft power هي الوسيلة المناسبة لتحقيق المصالح الأمريكية حيث الصراع الحالي ضد المتشددين ليس صدام للحضارات وإنما هو عبارة عن سياق مرتبط بشكل وثيق بالحرب الأهلية المندلعة داخل الحضارة الإسلامية بين المعتدلين والمتشددين ،ولن تنتصر أمريكا وحلفاؤها في هذا المضمار إلا عن طريق تبني سياسات تجتذب عقول هؤلاء المعتدلين عن طريق استخدام دبلوماسية الرأي العام بشكل فعال ومؤثر لاجتذابهم ويقصد Nye بالقوة الناعمة قوة الأفكار كالديمقراطية وحقوق الإنسان والتعليم والرأي العام على عكس القوة الصلبةHARD POEWR التي تمثلها القوة العسكرية والاقتصاديه ويعتقد NYE ان القوه الصلبه لا تحقق المصلحة الأمريكيه بالشكل المطلوب ويشجع على تبني القوة الناعمة حيث يقول "أن القوة الناعمة ليست مجرد جاذبيه هامشية وإنما هي وسيلة للحصول على نتائج تريدها الولايات المتحدة وعندما تستبعد الولايات المتحدة وتستخف بأهمية القوة الناعمة فإنها تدفع ثمناً باهظاً. (٢)

يرى الباحث أن الولايات المتحدة كانت تحتاج لتهديم برجي مركز التجارة العالمي ومبنى البنتاغون وأكثر من ثلاثة آلاف قتيل لتكشف حجم كراهية التي يكنها العالم العربي والإسلامي

---

(١) Steven, Cook, The Right Way to Promote Arab Reform, Foreign affairs, Vol84, Issue2, Mar/ Apr 2005.

(٢) Nye, Joseph, 2004, The Decline of America's soft Power, foreign affairs, May/ June 2004.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للولايات المتحدة والغرب عموماً ولتبدأ بتحسس الحاجة الملحه للإصلاح في العالم العربي بعد كل تلك الفترة الطويلة من الصمت على حالة الإحباط والاحتقان والقلق والخوف من المستقبل التي يعيشها مواطنو العالم الإسلامي.

ولتبدأ أيضاً بإعادة نسج خيوط العلاقة بينها وبين العرب والمسلمين متجاوزة الحواجز الديكتاتورية التي مثلتها الأنظمة الحاكمة على امتداد الساحة العربية الإسلامية.

وقد استنفرت الولايات المتحدة مراكز الأبحاث الاستراتيجية لفهم ظاهرة "١١سبتمبر والأسباب التي دعت إليها "وبناء على تفكير استراتيجي وتحليل ثقافي معمق تبنت الولايات المتحدة دعم مفاهيم الإسلام الليبرالي وتشجيع الذين يرفعون لواءه وقد نشرت شيرين هنتتر Shireen hunter في ابريل ٢٠٠٤ من مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية Csis دراسة حول التحديث والديمقراطية في العالم الإسلامي ،كما كتب ريتشارد هاس Richard HASS صيف ٢٠٠٣ دراسة "**نحو ديمقراطية شاملة في العالم الإسلامي** " ولكن اهم دراسه عن ذلك الموضوع كانت قد نشرت في٢٠٠٣ وقدمته شارلي برنارد CHERLY BENARD من مؤسسة راند تحت عنوان "**الاسلام المدني الديمقراطي الشركاء والموارد والإستراتيجيات**" وقد دعت هذه الدراسة إلى تبني الاسلام الليبرالي ومؤيديه وشن حملة تشويه على التيارات التي تعادي القيم والمباديء الأمريكية والتي تميل إلى العنف والتطرف وتتفق شيرل مع دراسة كل من هنتر وهاس في دعم الديمقراطية والتحديث ومواجهة الأسباب العميقة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تغذي التطرف والعنف ،وقد صدرت أيضا عدة دراسات عن معهد بروكنجز Brookings instiure ضمن مشروع السياسة الأمريكية نحو العالم الإسلامي وقد أكدت جميعها على تبني النموذج التركي في الإسلام السياسي والدعوة إلى حملة علاقات عامة أمريكية لتحسين صورة الولايات المتحدة في العالم الإسلامي. (١)

وبالفعل فقد تم الشروع في تطبيق تلك الدراسة على العالم الإسلامي فقد عقد في القاهرة بتنظيم من مركز ابن خلدون في أكتوبر ٢٠٠٤ مؤتمرا موضوعه"الإسلام والإصلاح" بمشاركة عشرين باحثا من جنسيات عربية وأوروبية وأمريكية وبالتنسيق مع ثلاثة مراكز بحثية دولية هي

(١) البرصان، أحمد سليم، مرجع سابق، ص٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مركز "سابان"لدراسات الشرق الأوسط التابع لمعهد بروكنجز ومركز دراسات الإسلام والديمقراطية بواشنطن ومنبر الحوار الإسلامي بلندن إضافة إلى عدد من الباحثين والأكاديميين من الدول العربية وأمريكا وأوروبا وقد صدر عن المؤتمر بيان ذكر فيه أنه تبنى الدعوة إلى :

١- إعادة صباغة نسق معرفي جديد للفكر الإسلامي.

٢- مراجعة التراث الإسلامي مراجعة جذرية.

٣- التصدي لأفكار المؤسسات التي تحتكر الحديث باسم الدين.

٤- مواجهة وتفنيد مقولات ورؤى وأفكار التيارات الدينية المتطرفة .

٥- تكثيف الحوار مع القوى المعتدلة والمستنيرة في المجتمعات الغربية عامة والمجتمع الأمريكي خاصة.

٦- أهمية إدماج الحركات الإسلامية في العملية الديمقراطية .

٧- تمكين الحركات المعتدلة من حق الوجود السياسي إذا قبلت الديمقراطية كخيار استراتيجي وأقرت بالمبادئ التي تقوم عليها قيم المجتمع المدني والدولة المدنية الحديثة .

٨- ضرورة إجراء حوار عام موسع مع تيارات الإسلام السياسي السلمي. [١]

من هنا يرى الباحث أن مشروع الشرق الأوسط الكبير جاء ليتماهى مع هذه الأفكار والتصورات حول طبيعة العلاقة بين الإسلام أو العالم الإسلامي والغرب وكمحاولة لتغيير النسق المعرفي الفكري للعرب والمسلمين نافذا إلى ما هو أعمق وأبعد من تغيير النظم والمؤسسات إلى تغيير الأفكار والمفاهيم والبنى المعرفية.

وفي الواقع وعلى الرغم من أن مشروع الشرق الأوسط الكبير ليس الا تتويجا لسلسله متراكمة من التصورات الأمريكية بدءاً من ١١أيلول ٢٠٠١، إلا أنه في نهاية المطاف يستند على مرتكزات ثلاث يجب التوقف عند دلالاتها.

([١]) يسن، السيد، جريدة الاتحاد الإمارتية، ٢٠٠٤/١٠/٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١- الإحساس بعجز الوسائل العسكرية وعدم كفايتها في تحقيق المصالح الأمريكية بل أن أول دروس التجربة العراقية التي لم تنته بعد، هو انكشاف الخيار العسكري في مواجهة مشكلة العنف التي دفعتها إلى التفاقم دون أن تلوح في الأفق أي فرصة موضوعية لمعالجتها.

٢- توسيع وتوحيد المدى الاستراتيجي للحركة الأمريكية في مواجهة مشكلة الإرهاب والاضطراب السياسي، بحيث يمتد على مساحة العالم الإسلامي من نواكشوط إلى باكستان ويقوم ذلك فعلياً على مطابقة الإسلام بالإرهاب من ناحية وعلى دمج المعيار الحضاري بالمعيار الاستراتيجي في رسم التصورات من ناحية أخرى.

٣- التحول تدريجياً باتجاه مفهوم الشراكة مع الأوروبيين وحلفاء آخرين على حساب مفهوم الإستفراد الأمريكي الذي اقترن مع مفهوم الحرب الاستباقيه التي أطلقت بعد١١أيلول وهذا ما حاول كولن باول التنظير له في مقالته في "فورين افيرز" في عدد كانون ثاني /شباط ٢٠٠٤ عندما حاول تهميش مفهوم الحرب الاستباقيه في مقابل مركزية مفهوم الشراكة الاستراتيجية. [١]

(١) فياض، علي، ٢٠٠٤، المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، بيروت، ص٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث:

الانتقادات الموجهة إلى مشروع الشرق الأوسط الكبير:

يرى الباحث أن هناك عدة انتقادات يمكن توجيهها لمشروع الشرق الأوسط الكبير أهمها:

١- يعتبر المشروع أن الشرق الأوسط يمثل خطراً على مجموعة الثماني خاصة في مجال الإرهاب والجريمة الدولية والهجرة غير المشروعة وهذا كلام غير دقيق لأن هذه الأخطار موجودة أصلاً في صلب الحياة السياسية للمجتمع الغربي فالهجرة غير المشروعة تأتي من بلدان عدة مثل فيتنام وإندونيسيا وأمريكا اللاتينية، والجريمة المنظمة مصدرها الرئيسي عصابات المافيا داخل المجتمعات الغربية، أما الإرهاب فقد أضحى بمثابة مشجب إسلامي وصار مرادفاً لكلمة الإسلام، ومع عدم إنكارنا لوجود شيء منه وافد من شرقنا الإسلامي إلا أن قصره على هذه المنطقة دون العالم يعد تبسيطا مخلاً للأمور [١]

٢- إن حصر المشروع لمشاكل المنطقة في قضايا مثل الحرية ،المعرفة، تمكين النساء، الفرص الاقتصادية، يعبر عن سطحية فريدة من نوعها في الوقت الذي يسقط منه وعن عمد قضية الصراع العربي الإسرائيلي بأبعادها الإنسانية والحضارية والاقتصادية والسياسية وبتأثيراتها حتى على منتج هذه المنطقة من الإرهاب والجريمة المنظمة والهجرة غير المشروعة ويسقط أيضا المشروع قضية احتلال العراق بكل مآسيها على المنطقة وتفتيتها لنسيج تماسكها السياسي وتقدمها المعرفي. [٢]

٣- أن مشروع الشرق الأوسط الكبير ينظر إلى المنطقة نظرة اقتصادية وجغرافية عامة تلغي الخصوصيات والتجارب والأبعاد التاريخية لكل بلد على حدة ولكل منظومة إقليمية على حدة ،حيث يدخل دولاً مثل باكستان ،أفغانستان ،إيران،إسرائيل على دول عربية سميت فيما مضى بالوطن العربي لها سمات وخصائص لغوية وثقافية وسياسية تكاد تكون واحدة. [٣]

---

(١) سيد أحمد، رفعت، ٢٠٠٤، مشروع الشرق الأوسط الكبير المخاطر وسبل المواجهة، دمشق،المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، ص٧٢.

(٢) المرجع السابق، ص٧٤.

(٣) المرجع السابق، ص٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤- يقوم المشروع في مجمله على فكرة فرض الحل من الخارج دون حتى مجرد استشارة أصحاب الشأن فيه، وفي هذا ليس فحسب استعلاء مهين على أصحاب المكان والزمان المراد تحديثهما أو إصلاحهما بل أنه إعادة إنتاج فج لمنطق الإستعمار القديم الذي يمركز العالم كله حول ذاته. (١)

ونذهب ريتشارد ميرفي مساعد وزير الخارجية الأمريكي الأسبق لشؤون الشرق الأوسط ،إلى الربط بين مبادرة الشرق الأوسط الكبير لبوش الابن والنظام العالمي الجديد لبوش الأب بقوله "وتواجه مبادرة الشرق الأوسط الكبير خطر التحول إلى شعار مفرط في طموحه ابتكره الذين يكتبون خطابات الرئيس ما لم يرافقها خطوات للتنفيذ يخطط لها بترو" ويذكر أن الرئيس بوش الأب قد أطلق مشروعه بنظام عالمي جديد في مارس ١٩٩١ لكن هذا المشروع لم يدوم أكثر من فترة رئاسته المتبقية آنذاك، ويضيف ميرفي في نفس السياق أن المعضلة التي تواجه الرئيس بوش وهو يعد العدة لإطلاق مبادرة الشرق الأوسط الكبير هي أن الكثيرين في المنطقة لا يتفقون مع أولويات الإصلاح الأمريكية ولا يثقون بالدوافع الأمريكية بالعراق" (٢)

بينما يرى البعض أن مشروع الشرق الأوسط الكبير وإن كان يحمل بعض هذه المغالطات وسوء التقدير الا أنه خطوه مهمه في سبيل الإصلاح السياسي الذي تحتاجه المنطقة، إلى ذلك يذهب الأمير الحسن بن طلال بقوله"تعرضت مبادرة الشرق الأوسط الكبير لانتقادات حادة من حيث أنها لم تول الصراع الفلسطيني الإسرائيلي اهتماما كافيا وأنها تسعى إلى فرض الإصلاح من الخارج مثل هؤلاء المنتقدين يحيدون عن الصواب لسببين: ان إقليمنا يحتاج إلى مبادرات متعددة للإصلاح سواء من الداخل أو الخارج كما أن الإصلاح يمكن أن يسرع عملية السلام في الشرق الأوسط بدلا من أن يعيقها. (٣)

ويضيف الأمير الحسن "أن الصراع الفلسطيني الإسرائيلي والعراق هما بطبيعة الحال موضوعان رئيسيان لشعوب الشرق الأوسط ومع أنهما متداخلان فإنه ليس من الحكمه العملية أن

---

(١) المرجع السابق، ص ٧٧.

(٢) البرصان، أحمد سليم، مرجع سابق، ص٤٣.

(٣) El Hassan bin Talal,2004, the Greater Middle East initiative, first published, Amman, Majlis El Hassan, p5

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نفترض أن القضية الفلسطينية الإسرائيلية وقضية العراق وكذلك الإصلاح الإقليمي الذي يشمل المنطقة كلها يجب أن تعالج بأي ترتيب زمني متسلسل ،أن حل أي من هذه القضايا يجب أن لا يكون معلقاً على حل أي قضية أخرى، فيمكن معالجة هذه القضايا في آن معاً، وان التقدم على أي جبهة من هذه الجبهات سوف يساعد في حل القضايا الأخرى كما أن العكس صحيح تماما أيضا.(١)

ويرى الباحث أن مشروع الشرق الأوسط الكبير قد أعاد اكتشاف معضلة النظام العربي من جديد حيث مشكلاته الداخلية المزمنة باتت تشكل تهديداً له في مجالات ثلاث فهي **أولاً**: تشكل حاجزاً أمام حاجته المتزايدة لتطوير أوضاعه وعلاقاته الداخلية والبينية، كما بالنسبة لضرورات مواكبة مسارات العولمة .**ثانياً**:أنها تحد وتضعف من قدراته على مواجهة تحدياته الخارجية ولا سيما منها التحدي الإسرائيلي .ثالثاً: أنها باتت عاملا من عوامل انكشاف النظام العربي أمام التدخلات الخارجية ولا سيما منها تدخلات الولايات المتحدة بدعوى مكافحة الإرهاب والتطرف كما بدعوى الدفاع عن مصالح الغرب ومصالح الاقتصاد العالمي في استقرار المنطقة العربية.

(١) El –Hassan bin Talal, Ibid , p6.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الرابع

المبادرات الأوروبية مقابل المشروع الأمريكي:

كانت الأشهر الأولى من العام ٢٠٠٤ قد شهدت طرح العديد من المشاريع لإصلاح للشرق الأوسط من ضمنها مشروع الشرق الأوسط الكبير فبراير ٢٠٠٤.

٢- مشروع يوشكا فيشر وزير الخارجية الألماني.

٣- مبادرة فرنسية المانية مشتركة للإصلاح.

٤- مبادرة اعدها الإتحاد الأوروبي .

٥- مشاريع أخرى جرت صياغتها في المنتديات الدولية (منتدى دافوس) وفي مراكز الأبحاث وصنع السياسات الأوروبية (المجموعة الدولية لمعالجة الأزمات) والأمريكية (مجلس السياسات الخارجية) بحيث بدأ الأمر وكأن السماء تمطر مبادرات وكأن الشرق الأوسط حقل تجارب بحسب تعبير عمرو موسى الأمين العام لجامعة الدول العربية. [١]

أولاً: المبادرة الألمانية (مشروع يوشكا فيشر) [٢]

ألقى وزير الخارجية الألماني يوشكا فيشر في السابع من فبراير ٢٠٠٤ خطاباً أمام مؤتمر ميونيخ الأربعين حول السياسة الأمنية جاء فيه:

"أنه وبصرف النظر عن الخلاف حول العراق فإننا نشارك ومنذ وقت طويل القناعة بأنه بعد الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ ليست الولايات المتحدة فقط هي التي لا يمكن أن تقبل بالوضع السائد في الشرقين الأوسط والأدنى وإنما يسري هذا أيضا على أوروبا وعلى الشرق الأوسط نفسه ،وأن كان الخطر الأكبر الذي يهدد أمننا الإقليمي والعالمي في بداية هذا القرن الا وهو الإرهاب الجهادي المدمر بأيدولوجية التوليتارية فهولا يشكل تهديداً لمجتمعات الغرب فقط وإنما بالدرجة الأولى للعالمين العربي والإسلامي أيضا.

وقد اشتملت مبادرة فيشر على عدة نقاط أساسية أهمها:

---

(١) كيالي، ماجد، مرجع سابق.

(٢) http://www.gcss.org

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- أن الغرب لن ينجح في مواجهة التهديدات القادمة من منطقة الشرق الأوسط بالأساليب العسكرية فقط وإنما يجب التعاون مع المنطقة نفسها خاصة في قضايا التحديث الاجتماعي الثقافي.
- أن الإرهاب يحاول جر الغرب إلى حرب حضارات "الغرب ضد الإسلام" وعلينا نحن الغرب مراجعة كل خطوة في المواجهة بعناية وبناء استراتيجية مشتركة.
- أن مفتاح الإصلاحات الناجحة يمكن في المنطقة ذاتها التي تعاني من فقدان القدرة على مواجهة تحديات القرن الحادي العشرين الملحة[١].
- على الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة أن يركز قدراتها ومواردها في مبادرة جديدة عبر الأطلسي للشرقين الأدنى والأوسط تفتح آفاقاً جديدة وتعاون أقوى وشراكة أوثق في الأمن والسياسة والاقتصاد والقانون والثقافة والمجتمع العربي.
- أي مبادرة يجب أن لا تستبعد حل النزاع الإقليمي الحاسم "العربي الإسرائيلي" وبنفس الوقت يجب أن لا يكون النزاع عائقا أمامها.

وقد اقترح وزير الخارجية الألماني إجراء من خطوتين :

الخطوة الأولى: هي الاشتراك في عملية البحر المتوسط والحلف الأطلسي والاتحاد الأوروبي ويركز على إمكانية تدعيم الحوار الذي يدور بين حلف الأطلسي ودول حوض المتوسط وعملية برشلونة للاتحاد الأوروبي ويقترح العمل على أربعة مراكز ثقل هي:

١- الأمن والسياسة حيث لا بد من تطوير تعاون سياسي وثيق وشراكة أمنية يهدف إلى بناء الثقة بين كل الدول المشاركة إضافة إلى ذلك يجب أن تدعم الإصلاح في دول المنطقة على أن يتم ذلك في جميع المجالات السياسية والمؤسسات الديمقراطية والقانون وينبغي الاستجابة إلى المصالح الأمنية المشروعة لجميع دول المنطقة بتعاون أمني إقليمي يرتكز إلى الشفافية ونزع السلاح والحد من التسلح.

---

[١] cofaman, Tamara, the new US Proposal for greater middle East initiative, the Prookings institution.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢- الاقتصاد:تشكيل شراكة اقتصادية جديدة حول حوض المتوسط حيث تطوير الفضاءات الاقتصادية الوطنية المنفصلة اليوم ،ودمجها قد يدعم التحول السياسي والاجتماعي دعما حاسما والسعي نحو تأسيس منطقة حرة تشمل حوض المتوسط كله بالإضافة إلى فتح أسواق الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي للمنتجات المصنعه في تلك الدول[١].

٣- القانون والثقافة: يشمل مركز الثقل هذا تطوير مؤسسات ديمقراطية تستند إلى دولة القانون يضاف إليها وسائل الإعلام الحرة والتعاون في مجال التربية والتعليم كما أن الحوار بين الأديان والتبادل المكثف والتعاون الوثيق في المجال الثقافي ذات أهمية محورية.

٤- المجتمع المدني: ويشمل على المجتمعات الدينية وكل مجال المنظمات غير الحكومية ومشاركتها فليس في الإمكان لصالح الديمقراطية ودولة القانون أن تستغني عن المجتمع المدني القوي كما أنه جوهري في أي عملية تجديد.

الخطوة الثانية:

هي إعلان من أجل مستقبل مشترك حيث لا يكفي بتوجيه هذا الإعلان إلى المشاركين في عملية الاتحاد الأوروبي وحلف الأطلسي لحوض المتوسط فقط وانما يجب أن يشمل الدول الأخرى الأعضاء في الجامعة العربية بالإضافة إلى إيران وعلى الموقعين على الإعلان أن يدعموا سوياً الإصلاحات في المنطقة ويشجعوها.

ومن المفترض أن تتعهد الدول الموقعة على هذا الإعلان الالتزام بها وهي: ١- يعلن الموقعون عن أيمانهم بالسلام والأمن ونبذ العنف والديمقراطية والتعاون الاقتصادي وبالحد من التسلح ونزع السلاح وإقامة نظام من التعاون الأمني ويلتزم كل الموقعين بالمشاركة في مكافحة الإرهاب والنوليتاريه سوياً.

٢- يرى الموقعون في سياسة الإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي في الدولة والمجتمع الرد الحاسم على تحديات القرن العشرين ويدعمون دمج اقتصادياتهم الوطنية.

---

[١] Cofman, Ibid, cit.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- يلتزم الموقعون بإتاحة فرص المعرفة والتعليم للمجتمع من نساء ورجال على قدم المساواة والهدف من ذلك بناء مجتمعات المعرفة في المنطقة ويتفق هذا الهدف والهمة الاستراتيجية المحورية التي عرفها تقرير التنمية البشرية العربية.

ثانياً: المشروع الفرنسي –الألماني: [١]

وقد أطلق عليه من أجل مستقبل مشترك مع الشرق الأوسط ونشر في السابع من آذار ٢٠٠٤ ومن نقاط التلاقي بين المشروع الفرنسي والألماني والمشروع الأمريكي أن مستقبل منطقة الشرق الأوسط مصدر قلق مشترك تتقاسمه مع شركاءنا في المنطقة والشركاء الأطلسيين وجاء أيضا في المشروع أن الولايات المتحدة اقترحت أفكار في شأن الشرق الأوسط الكبير وسبيل مواكبة تحديثه وإحلال الديمقراطية فيه وعلينا أن نستقبل بإيجابية إمكانية عملنا معا وتنسيق جهودنا وينبغي على الاتحاد الأوروبي أن يتطلع إلى شراكة عبر الأطلسي مع الشرق الأوسط.

لكن الشروع الفرنسي الألماني يؤكد في الوقت نفسه أن على الاتحاد الأوروبي أن يحدد مقاربة مميزة تكمل مقاربة الولايات المتحدة بالاستناد إلى مؤسساته الخاصة وأدواته.

وفي مجال التأكيد على التمايز في آليات التنفيذ في العلاقة مع بلدان الشرق الأوسط الكبير يقول المشروع الفرنسي-الألماني أيضا في موقع آخر "ويجب أن يبقى إطار التعاون مع الاتحاد الأوروبي ومع حلف شمال الأطلسي مختلفين ويلزم تطوير تبادل وجهات النظر في شأن مسائل الأمن والتعاون في منطقة المتوسط في منتديات الحوار بين حلف الأطلسي والاتحاد الاوروبي."

كما جاء في التمايز عن المشروع الأمريكي أيضا التركيز على نقطتين وردتا في المبادرة الألمانية ولكن على نحو ضعيف وباهت وهما قضية فرض الإصلاح من الخارج والخصوصيات الوطنية وهذا يشير إلى أن التركيز والوضوح جاء نتيجة الموقف الفرنسي ومعروف أن التمايز الفرنسي عن السياسة الأمريكية له تاريخه وأسبابه.

يقول المشروع الفرنسي –الألماني في هذا الخصوص"أن قوة الدفع ينبغي أن تأتي من المنطقة أن كل الدول والمجتمعات المعنية عبرت عن حذر جماعي قوي في وجه أية محاولة لفرض

---

(١) htpp://www.opac.ide.go

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نموذج من الخارج وستعمل مع كل البلدان للاستجابة إلى مطالبها قدر الإمكان عبر مشاركتها الوثيقة وأيضا مع المجتمعات المدنية بالالتصاق إلى أقصى قدر بحقائق كل بلد"[1].

وأضاف المشروع"لا بد من الأخذ في الاعتبار المشاعر الوطنية وهوية كل بلد وينبغي الحرص على تجنب مخاطر المقاربة الشديدة العمومية التي تغيب الخصوصيات الوطنية وهوية كل بلد وتصف الإسلام باعتباره غير قابل للحداثة ولا بد بموازاة ذلك من حض البلدان المعنية على التعبير عن آرائها سواء في إطار الجامعة العربية أو في المنتديات المخصصة لذلك من أجل إشهار تطلعاتها"

أما النقطة المهمة الأخرى في مجال التمايز عن المشروع الأمريكي فقد عبر عنها المشروع الفرنسي-الألماني على النحو التالي:

أن الاستراتيجية الأمنية الأوروبية تشير إلى أن تسوية النزاع –العربي الإسرائيلي تشكل أولوية استراتيجية بالنسبة لأوروبا وفي غياب مثل هذا الحل لن تكون هناك أي فرصة لتسوية المشاكل الأخرى في الشرق الأوسط ولهذا السبب من الضروري إعادة إطلاق نهج السلام في الشرق الأوسط بالتوازي من أجل التوصل إلى التسوية المنتظرة منذ مدة بعيدة لكل مساراته ومن الضروري أيضا إنشاء حكومات مسؤولة ذات سيادة في العراق أن أيا من هاتين المسألتين ينبغي أن لا تؤجل تطوير شراكة على المدى الطويل لكن لا يمكننا توقع النجاح الكامل ما لم تتقدم مسيرة السلام في الشرق الأوسط.

---

[1] Ibid.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الخامس:

مبادرة الإصلاح العربية في مواجهة المبادرات الخارجية[١]

وثيقة الإسكندرية مارس ٢٠٠٤

من أجل مواجهة مشاريع الإصلاح الخارجية التي يمكن أن تفرض على المنطقة قامت الدول العربية عن الإعلان عن مبادرة ذاتية من أجل الإصلاح في الوطن العربي وتم عقد مؤتمر قضايا الإصلاح العربي "الرؤية والتنفيذ" في مكتبة الإسكندرية في الفترة ١٢-١٤ مارس ٢٠٠٤ بالتعاون مع مؤسسات المجتمع المدني والعمل الأهلي في الوطن العربي وتدارس المؤتمر إمكانات الإصلاح اللازمة لتطوير المجتمعات العربية وقد انتهت مناقشاتهم إلى الإعلان عن اقتناعهم الكامل بأن الإصلاح أمر ضروري وعاجل وينبع من داخل المجتمعات العربية ذاتها ويستجيب إلى تطلعات أبنائها في بلورة مشروع شامل للإصلاح يظم الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية مشروع يسمح بالتعامل مع أوضاع كل قطر على حدة وينتظم في كشف عام يحدد القواسم العربيه المشتركه خطوات الإصلاح الخاصة به إلى الأمام ويزيد من التواجد العربي على الساحة الدولية ويعيده عن التقوقع والتمحور على الذات.

وقد أكد المشاركون في هذا المؤتمر على ضرورة ترسيخ تعاون إقليمي يجعل من الوطن العربي كياناً أكثر إيجابية وفاعلية وتأثير على الصعيد الدولي وضرورة ألا يحجب الإصلاح الداخلي أهمية معالجة القضايا الإقليمية التي تفرض نفسها على جدول أعمالنا وفي مقدمتها الحل العادل للقضية الفلسطينية طبقا للمواثيق الدولية التي تقضي بإقامة دولتين مستقبلتين لكل منهما سيادة حقيقة كاملة وتحرير الأراضي العربية المحتلة،وتأكيد استغلال العراق ووحدة أراضيه يضاف إلى ذلك جعل منطقة الشرق الأوسط خالية من أسلحة الدمار الشامل وحل المشكلات الحدودية بين الأطراف المتنازعة بالطريقة السلمية دون أن تكون هذه المشكلات ذريعة للتدخل الأجنبي في شؤون المنطقة العربية أو وضعها تحت الوصاية من جديد[٢].

---

(١) http://www.arabreformforum.org

(٢) Cofman, Op, cit.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما خلصت الوثيقة إلى أن التاريخ الحضاري العريق لـشعوب هـذه المنطقـة ورؤيتهـا لمستقبلها الواعد يؤكدان إدانة الإرهاب بكل أشكاله ومواجهة النواتج الخطيرة لأنواع التعصب الديني وتجسيد قيم التسامح والتفاعل الخلاق بين الثقافات والحضارات وأن المجتمعات العربية تملـك مـن النضج والخبرة التاريخية ما يجعلها قادرة على الإسهام في تـشكيل الحـضارة الإنـسانية وتنظـيم أمورها وإصلاح أوضاعها الداخلية مع ضرورة الانفتاح على العالم وتجاربه الإصلاحية والتفاعـل معها طبقا لقائمة أولويات محددة[1].

وقد تناولت الوثيقة عدة محاور للإصلاح هي:

أولاً: الإصلاح السياسي:

ويقصد به كافة الخطوات المباشرة وغير المباشرة التي يقع عبء القيام بها على عاتق كـل من الحكومات والمجتمع المدني ومؤسسات القطاع الخاص وذلك للسير بالمجتمعات والدول العربيـة قدما وفي غير إبطاء أو تردد وبشكل ملموس في طريق بناء معظم ديمقراطية.

وعندما نتحدث عن نظم ديمقراطية فإن المقصود بها الديمقراطية الحقيقية التي قـد تختلـف في أشكالها ومظاهرها وفقا للتغيرات الثقافية والحضارية من بلد لآخر ولكن جوهرها يظـل واحـداً فهي تعني ذلك النظام الذي تكون الحرية فيه هي القيمة العظمى والأساسية بما يحقق السيادة الفعليـة للشعب الذي يحكم نفسه من خلال التعددية السياسية التي تؤدي إلى تداول الـسلطات وتقـوم علـى احترام كافة الحقوق في الفكر والتنظيم والتعبير عن الرأي ووجود مؤسسات سياسية فعالة وفي هـذا المجال حدوث الوثيقة بعض الرؤى المتعلقة بهذا المسار هي:

أ- الإصلاح الدستوري والتشريعي: وبما أن الدستور هو أساس قوانين الدولة فـلا يجـوز أن تتناقض مواده مع نموذج النظام السياسي الذي ينشده المجتمع ويجب أن تتوافق مع المواثيق الدولية لحقوق الإنسان وأن تعكس نصوص الدستور لمتغيرات والتطـورات التـي وقعـت بالفعل وتعديل بعض المواد الدستورية التي تتعارض مع المتطلبات الديمقراطية.

ب- إصلاح المؤسسات والهياكل السياسية: لما كان النظام الديمقراطي يرتبط بوجود مؤسـسات قوية تتمثل في الفروع الثلاثة المعروفة في تنفيذية وتشريعية وقضائية فضلا عن الـصحافة

---

[1] Cofman, Op, cit.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والإعلام ثم مؤسسات المجتمع المدني فلا بد من مراجعة هذه المؤسسات لضمان أدائها الديمقراطي السليم ولا بد من إلغاء القوانين والمحاكم الاستثنائية أيا كانت أشكالها وتسمياتها لأنها تنتقص من ديمقراطية النظام السياسي كما لا بد من إطلاق حريات تشكيل الأحزاب السياسية في إطار الدستور والقانون وتحرير الصحافة ووسائل الإعلام من التأثيرات والهيمنة الحكومية وإطلاق حرية تشكيل مؤسسات المجتمع المدني وذلك بتعديل القوانين المقيدة لحرية تكوين الجمعيات والنقابات والاتحادات التطوعية مهما كان طابعها السياسي أو الاجتماعي أو الثقافي أو الاقتصادي وتشجيع قياسات الرأي العام وتحريرها من العوائق بوصفها إحدى وسائل الديمقراطية الأساسية والعمل على تأسيس هيئات ومراكز بحثية لاستطلاع الرأي العام العربي بصورة دورية في كافة القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية لتوفير معلومات دقيقة أمام صانعي القرار وأخيرا قيام جميع الدول العربية بالتصديق على منظمة المواثيق الدولية والعربية التالية:

١- الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

٢- العهد الدولي لحقوق المدينة السياسية.

٣- العهد الدولي لحقوق الاقتصادية والاجتماعية الثقافية.

٤- مشروع تحديث الميثاق العربي لحقوق الإنسان.

٥- المواثيق الدولية لحقوق المرأة بما يؤسس لإلغاء كافة أشكال التميز ضدها.

٦- الميثاق الدولي للطفل بما يضمن حياة أفضل للطفل العربي.

ثانياً: الإصلاح الاقتصادي:

يشمل الإصلاح الاقتصادي كافة لتشريعات والسياسات والإجراءات التي تسهم في تحرير الاقتصاد الوطني والتيسير الكفء له وفقاً لآليات السوق بما يمكنه من الانتعاش حول هوية النظام الاقتصادي وحول الكثير من التفاصيل مثل دور الدولة والعلاقة بينه وبين دور السوق والبعد الاجتماعي للتنمية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد اتفقت آراء المشاركين في المؤتمر على أن الأداء الحالي للاقتصاديات العربية لا يتواكب مع التحديات الواجب التصدي لها ولا يرقى إلى الإمكانات المادية والبشرية وطاقاتها الكامنة ويفرض تصور أداء الاقتصاديات العربية في المرحلة الراهنة وما تستوجبه متطلبات المستقبل من إجراء صلاح اقتصادي جذري يغير من الأوضاع القائمة أن الأبعاد في تنفيذ الإصلاح الاقتصادي له تكلفه باهظة وأعباء هائلة ولن يزيدها مرور الوقت الأسوأ.

ثالثا: الإصلاح الاجتماعي:

انطلاقا من أن المجتمع العربي في مجملة يمتلك كوارد اجتماعية وثقافية هائلة فقد آن الأوان للاستفادة من إمكاناته بكفاءة لتأسيس مجتمع عربي قوي ومتماسك قادر على حل مشاكله ومن ثم الانطلاق بقوة وفاعلية لتحقيق التقدم والمشاركة في صنع مستقبله العالم كله لذلك يجب العمل على الاستقرار الاجتماعي في المجتمعات العربية الأمر الذي يتطلب صياغة سياسات فعالة تضمن عدالة توزيع الثروة وعوائد الإنتاج في مجالاته المختلفة وفي هذا المجال لا بد من القضاء على ظاهرة التهميش الاجتماعي لفئات عديدة ومن منطق المواجهة الفعاله لسلبيات الممارسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الراهنة للدول العربية ولا بد من صياغة عقد اجتماعي جديد بين الدولة والمواطن في المجتمع العربي يحدد على وجه قاطع حقوق الدولة والتزاماتها إزاء المواطن كما يحدد بشكل حاسم حقوق المواطن العربي وكيفية الحفاظ عليها.

رابعاً: الإصلاح الثقافي:

حددت الوثيقة مجموعة من الأولويات لا يمكن إغفالها وفي مقدمتها

أ- ترسيخ أسس التفكير العملاقي والعلمي بتشجيع مؤسسات البحث العلمي وتمويلها والقضاء على التطرف الديني التي لا تزال رواسبها موجودة في المناهج الدراسية وخطب المساجد ووسائل الإعلام الرسمي وغير الرسمي.

ب-تشجيع الاستمرار في تجديد الخطاب الديني سعيا إلى الحريات الفكرية وفتح أبواب الاجتهاد على مصراعيها في قضايا المجتمع للعلماء والباحثين.

ت-تهيئة المناخ الثقافي لتحقيق التطوير الديمقراطي وتداول السلطة سلميا.

خلاصة:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أكد المجتمعون في النهاية أن رؤى الإصلاح التي قاموا بها لـــصياغتها لا تقـــع مـــسؤولية تنفيذها على الحكومات وحدها دائما على المجتمع المدني والحكومات معا فالمستقبل الواعـــد لأمتنـــا العربية لن يحقق إلا باستثمار كل الطاقات الخلاقة والإجراءات الأصلية والعمل الذي يجمـــع بـــين الرؤية والتنفيذ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث

الشرق الأوسط بين الكبير والجديد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشرق الأوسط بين الكبير والجديد

المبحث الأول:

الشرق الأوسط في الاستراتيجية الأمريكية:

ذكرت كوندليزا رايس وزيرة الخارجية الأمريكية عندما جاءت إلى لبنان في ٢٠٠٦/٧/٢٢ أثناء الحرب الإسرائيلية على لبنان أنها تأمل بقيام شرق أوسط جديد بقولها أن الأحداث الجارية في المنطقة الآن هي الآم مخاض ولادة لشرق أوسط جديد ،في حين أن إدارة جورج بوش الأولى عملت طويلا من أجل الشرق الأوسط الكبير أما نحن العرب فقد جادلنا الباحثين الاستراتيجيين البريطانيين والأمريكيين والفرنسيين طويلا في صحة مصطلح الشرق الأوسط مشتمين من ورائه مؤامرة لإلغاء الطابع التاريخي العربي للمنطقة ويرى بعض الغربيين أننا نرغب بتحميل المصطلح هذه الحمولة الأيدلوجية الكبيرة.

ويرى مفكرون أمثال برنارد لويس وارنولد توينبي يعتقدون أن المقصود بالشرق الأوسط أنه ليس هناك طابع غالب أو سائد لهذه المنطقة التي تتكاثر فيها الاثنيات والديانات والتي تتصارع وتتنافس في ما بينها ولا تنضبط من داخلها بل تحتاج إلى دولة كبرى مجاورة أو بعيدة للضبط وتثبيت الاستقرار مثلما حصل قبل منذ حوالي ٢٠٠٠ قبل الميلاد وحتى اليوم إذ توالت على المنطقة الإمبراطوريات والدول الكبرى الضابطة إلى أن تحدث الأميركيون في الخمسينات والستينات عن "الفراغ" في الشرق الأوسط بعد ذهاب المستعمرين الفرنسيين والبريطانيين وأرادوا احتواءه خشية أن يستولي عليه السوقيات خلال الحرب الباردة[١].

وفي تموز/٢٠٠٦ نشر الموقع الإلكتروني الخاص بمجلة القوة العسكرية الأمريكية AFJ armed forces Journsl مقالا لرالف بيتر ralph peters بعنوان حدود الدم Blood borders [٢] الذي رسم خارطة سياسية جديدة للدول في منطقة الشرق الأوسط وحددت هذه الخارطة ملامح جديدة للمنطقة حيث أنطلق التقرير الخاص بمشروع الشرق الأوسط الجديد من فرضية مفادها أن

---

[١] السيد، رضوان، جريدة الاتحاد الإماراتية، ٢٠٠٦/٧/٣٠.

[٢] Peters, Ralph, 2006, Blood Borders, armed forces Journal, June,2006.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحدود بين الدول في المنطقة غير مكتملة وغير نهائية وهو ما يؤدي إلى صراعات عسكرية عديدة حولت الشرق الأوسط إلى منطقة ملتهبة ومتوترة منذ عقود.

ويرى معدو التقرير الخاص بمشروع الشرق الأوسط الجديد أن الحدود التي شكلتها الدولتان العظميان (بريطانيا،وفرنسا) في منطقة الشرق الأوسط في أوائل القرن العشرين كانت نتاج ما عانتاه من هزائم في نهاية القرن التاسع عشر وليس نتيجة انتصارهما في الحرب العالمية الأولى، وبسبب ذلك كان التقسيم خاطئاً حيث قسم القوميات والطوائف على طرفي الحدود ولم يجمعهما في دولة واحدة بل أصبحت الكتل القومية والطائفية مبعثرة في أكثر من دولة دون أن تدرك كل من المملكة المتحدة وفرنسا خطورة هذا التشكيل.

واستنادا إلى المقدمات السابقة فإن معدي التقرير حول المشروع الشرق الأوسط الجديد يرون أن النتائج عن هذا التقسيم برزت على شكل خلل وظيفي داخل كل دولة بحد ذاتها بالإضافة إلى خلل جوهري في علاقة الدول بين بعضها البعض وهو ما أدى في النهاية إلى ظهور حركات التطرف الديني والقومي والمذهبي.

وعليه فإن الخارطة الجديدة للشرق الأوسط تقوم فكرتها على أساس أن تضم الدول قومية واحدة أو مذهبها واحداً وبهذه الطريقة يرى أصحاب المشروع الشرق الأوسط الجديد أن الحل للتوتر والصراع في المنطقة سوف يجد طريقه للنهاية.

ويرى الباحث أن التغيير الذي سيضع حداً للحروب والصراعات والتوترات في المنطقة لن يكون تغييرا سلساً أو سهلا لأن "إعادة تصحيح" الحدود الدولية يتطلب في حقيقة الأمر توافقات بين الدول نفسها وكذلك يجب أن يحوز على رضى الشعوب وهو أمر مستبعد حتى اللحظة.

ومن الدول المستهدفة بالتقسيم أو اقتطاع جزء من
أراضيهاتركيا،إيران،العراق،السعودية،سوريا،الإمارات،باكستان،أفغانستان،إسرائيل،السلطة الوطنية "الضفة الغربية"،قطر،الكويت.ومن الدول التي سيضم إليها أراضي جديدة
:الأردن،لبنان،اليمن،أرمينيا،أذربيجان،وستصبح مكة المكرمة والمدينة المنورة بما يعرف "فاتيكان إسلامي" خريطة مرفقة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

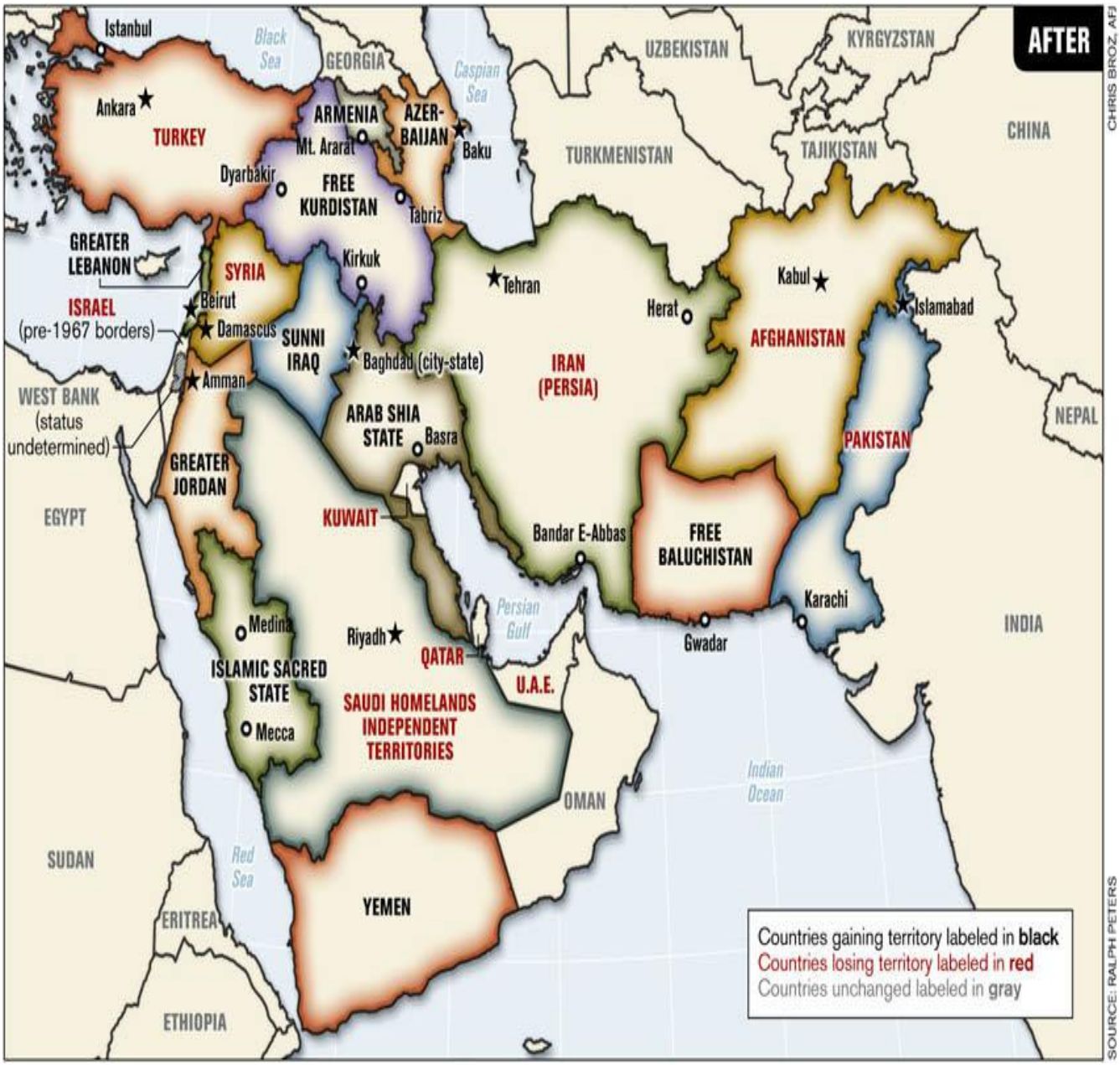

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

www.manaraa.com

وفي المقابل ستظهر دول جديدة أهمها الدولة الكردية والتي ستضم الأكراد لأول مرة في العصر الحديث داخل حدود دولة واحدة ،وبعد أن كان الأكراد من أكبر القوميات الموزعة على دول عدة دون امتلاكهم لكيان سياسي.

وستشمل الدول الكردية الجديدة منطقة كردستان ،العراق ومن ضمنها كركوك الغنية بالنفط بالإضافة إلى أجزاء من محافظة الموصل وخانقين وديالى وأجزاء من تركيا وسوريا وإيران حيث المناطق ذات الأغلبية الكردية ويرى معدو التقرير أن هذه الدولة الناشئة ستكون أكثر دول المنطقة موالاة للولايات المتحدة الأمريكية.

وبالإضافة إلى الدولة الكردية فإن تقسيم العراق سيؤدي إلى ظهور دولة شيعية عربية ودولة سنية غربي العراق إلا أن البارز أن الدولة الشيعية العربية ستأخذ جزءا لا يستهان به من إيران وهي منطقة عربستان والأهواز بالإضافة إلى أجزاء من شمالي المملكة العربية السعودية والساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية دون المساس بدولتي قطر والإمارات.

ومن الأهداف غير المعلنة لمشروع الشرق الأوسط الجديد تحويل إيران من دولة إقليمية إسلامية شيعية كبرى إلى مجرد دولة فارسية عبر اقتطاع جزء من أراضيها لمصلحة دولة أذربيجان الموحدة بالإضافة إلى اقتطاع منطقة عربستان والأهواز منها مقابل ضم جزء من أفغانستان للدولة الفارسية الجديدة للتحول من دولة مذهبية إلى دولة قومية[1].

ويرى البعض أن الدوافع وراء هذا المشروع يتلخص في أن الولايات المتحدة بدأت تشعر أنها دخلت العصر الإمبراطوري وبالتالي فإن الحدود السياسية في المنطقة والتي كانت تخدم القوى الاستعمارية في بداية القرن العشرين لم تعد صالحة لخدمة المصالح الأمريكية لذا فإنه لا بد من إعادة رسم الحدود بما يتوافق والمصالح الأمريكية في المنطقة.

ويرى الباحث أنه رغم أن فكرة هذا المشروع منطقية وتقوم على فرضيات صحيحة إلا أنه لا يمكن تطبيقه على أرض الواقع لأسباب عدة تدركها الولايات المتحدة، وعلى رأسها المعارضة الشديدة من معظم الدول المعنية بهذا المشروع، إلا أن الولايات المتحدة وان لم تكن حازمة في تنفيذ هذا المشروع في هذه المرحلة فإنها ستكون قد حققت عدة غايات من طرحه في هذا

---

[1] http://www.armed forces journal.com/2006/06/1833899.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الوقت فمن ناحية يمثل ورقة ضغط على تركيا لتعيد نسج علاقتها التحالفية مع الولايات المتحدة الأمريكية بالصورة التي تخدم المصالح الأمريكية ،فتركيا ستصبح مستعدة لأن تكون المكان الآمن للقوات الأمريكية في المنطقة بعد انسحاب هذه القوات من العراق مقابل إلغاء إنشاء دولة كردية سيكون لها انعكاس سلبي على تركيا.

خاصة إذا علمنا أن تركيا تريد إعادة إنتاج علاقتها مع الغرب باختزالها بالارتماء في الأحضان الأوروبية وهو أيضا ما يفسر رفض تركيا المشاركة في الحرب على العراق٢٠٠٣ من خلال عدم سماحها باستخدام قواعدها ومطاراتها من قبل القوات الأمريكية[١].

ومن ناحية أخرى وفيما يتعلق بالمسألة الكردية يبدو طرح هذا المشروع كرسالة حسن نوايا أمريكية تجاه الأكراد ونتيجة وقوف الأكراد إلى جانب الاحتلال الأمريكي للعراق واغراق الاكراد بحلم خلق دولة جديدة لهم، أما إيران فإنها سترضى بإعادة فتح ملفها النووي وإعادة التفكير بدورها الإقليمي خصوصاً في العراق شريطة عدم المساس بسيادتها على أراضيها وتقسيمها لأن مثل هذا التقسيم سيضعفها ويحولها إلى دولة قومية منغلقة على ذاتها دون أن تبقى لاعبا كبيرا على مستوى المنطقة.

المبحث الثاني:

السياسة الخارجية الأمريكية والإصلاح السياسي في الوطن العربي:

يدخل الشرق الأوسط مرحلة خامسة من تاريخه الحديث تتمثل بمرحلة الهيمنة الأمريكية الانفرادية وذلك بعد مرحلة الولادة عبر الحملة النابليونيه على مصر ومرحلة الاستعمار الأوروبي ومرحلة تفكيك الإمبراطورية العثمانية ثم مرحلة الحرب الباردة بين العملاقين الأمريكي والسوفييتي. [٢]

لكن يبدو من وجهة نظر الباحث أن العلاقة بين الولايات المتحدة والعالم العربي في تلك المرحلة من الهيمنة الانفرادية قد تعرضت لتغيير طارئ ومفاجئ فلاول مرة في تاريخ تلك العلاقة

---

[١] المرجع السابق.

[٢] Haass, Richard, The new middle East, Foreign affairs, Vol.85, Number6, November, December, 2006.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الطويلة من التأثير وحتى التوجيه الأمريكي للمنطقة العربية أصبح هناك تدفق عكسي للتأثير تمثل بأحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ الذي غير الاستراتيجية الأمريكية تجاه المنطقة كما ذكرنا من قبل فالأنظمة التي دعمتها وحافظت عليها لم يحقق لها الاستقرار بل على العكس ،فبإتباعها سياسات القمع والكبت لشعوبها خلقت هذه الأنظمة ما أصطلح عليه بالإرهاب وقامت بتصدير ازماتها إلى الغرب أما عن طريق الهجره غير المشروعة وأما عن طريق الجماعات المتطرفه التي نقلت معركتها إلى الخطوط الاماميه، المسؤولة بنظرهم عن ذوبان الهوية العربية الإسلامية مقابل الحضارة الغربية وعن فشل مشاريع التنمية والتحرر.

كما أدركت الولايات المتحدة أن التغير في منطقة الشرق الأوسط أصبح حتميا وإن لم تأخذ هي زمام المبادرة بنفسها فستحصل من دونها وربما أدى الى الانفجار والفوضى الشاملة ومن وراء ذلك خسارة الولايات المتحدة لمصالحها الاستراتيجية الكبرى. (١)

وعليه فإن الولايات المتحده راغبة في إعادة تشكيل النخب السياسية في الوطن العربي بشكل يفسح المجال أمام توثيق ارتباط الاقتصاد والسياسة العربية بالولايات المتحدة ولكي يتم إعادة تشكيل النخب لا بد من نشر ثقافة سياسية بديلة تقوم على تمجيد قيم اقتصاديات السوق والحرية السياسية والمجتمع المدني .....الخ. (٢)

وقد أصبحت الولايات المتحدة أكثر اقتناعا بعد الثورة الإيرانية أن النخب السياسية المغلقة تؤدي على المدى البعيد إلى احتقان سياسي ولا سيما مع اتساع قاعدة التعليم وتزايد التكنوقراطيين في المجتمع العربي المعاصر وسعي النخب الجديدة إلى المشاركة في الحياة السياسية ولا سيما أن نسبة مهمة من عناصر النخبة السياسية الصاعدة هم من خريجي الجامعات الغربية.

ولكي لا تحدث المفاجأة ويتم التغيير السياسي من خلال العنف على الطريقة الإيرانية أو الانقلاب المفاجئ كما كان يجري في الوطن العربي أو أفريقيا أو أمريكا اللاتينية فلا بد من تسريب

---

(١) غليون، برهان، ٢٠٠٣، العرب وتحولات العالم، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي، ص٢٩٥- ٣٠٥.

(٢) عبد الحي، وليد، ٢٠٠١، علاقة السياسة الخارجية الأمريكية التحولات الديمقراطية في الوطن العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٦٧ أيار، ص٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نخب معينة ذات توجهات معينة قريبة من القيم السياسية الأمريكية إلى الجسم السياسي في القطر العربي بشكل يحول دون الاحتقان من ناحية ويبني المشروع الأمريكي من ناحية ثانية.[١]

لكن لا بد من الإشارة إلى تقريرين نشرا في مجلتين أمريكيتين الأول في كريسشيان ساينس مونينور Christian Scince Monitor والثاني في مجلة جورنال اوف انترناشونال Journal of international affairs ويتفق التقريران على أن أية انتخابات نزيهة في الوطن العربي ستؤدي إلى فوز المعارضين للتسوية السياسية للصراع العربي الإسرائيلي وحيث أن المصالح الأمريكية مرتبطة بالتسوية السياسية أكثر من ارتباطها بالديمقراطية فإن الحل الأمريكي لهذه الإشكالية هو الاستمرار في التوجه الديمقراطي شريطة أن لا يؤدي إلى تغير التركيبة السياسية بشكل يخل بموازين القوى الداخلية لغير صالح التسوية من ناحية ثانية.

ويقول معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى washington Institue for Near East policy ما يلي" قد يكون الشرق الأوسط المنطقة الوحيدة في العالم التي قد تؤدي فيها أحد عناصر الديمقراطية السياسية "الانتخابات" إلى خلق مشكلات أكثر من حل مشكلات خاصة إذا ترتب عليه استبدال الأنظمة غير الديمقراطية ولكنها صديقة بأنظمة معادية للغرب" ويشير التقرير إلى أن ذلك خلق تيارين:

الأول: يرى أن تشجيع الديمقراطية يجب أن لا يطبق في الشرق الأوسط.

الثاني: تشجيع الديمقراطية بحذر وعلى خطوات . [٢].

ويرى الباحث أنه مهما كانت الدوافع وراء رغبة الولايات المتحدة بالإصلاح السياسي في الوطن العربي سواء أكانت لدرء الشرور والمخاطر عنها او للحفاظ على أمن إسرائيل أو لتأمين منابع النفط أو لتحقيق سياساتها الاقتصادية والتجارية الاستراتيجية، وسواء أطالت قائمة هذه الدوافع أو قصرت فانها لا شك تتلاقي وتستجيب لمتطلبات شعوب هذه البلدان في الإصلاح ورغبتها في التغير.

---

(١) عبد الحي، وليد، مرجع سابق، ص٦٥.

(٢) المرجع السابق، ص٧٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمفارقة اللافتة هما تكمن في ذلك التزامن بين الضغوط الخارجية الأمريكية أساساً - للإصلاح وبين الضغوط الداخلية في كل مجتمع تجاه ذلك الإصلاح والتي تخلق الآن لحظة فريدة مواتية لها فالضغوط الأمريكية للإصلاح الديمقراطي لم تجيء نتاج احساس"برسالة أمريكية" لنشر الديمقراطيه وإنما جاءت نتاجا لتقدير أن قوى التطرف الإسلامي والتي سبق أن استخدمتها الولايات المتحدة انقلبت عليها وأن سبب ظهورها أصلا كان نتيجة للاستبداد السياسي والتخلف الاقتصادي والانغلاق الثقافي الذي عانت منه أغلب المجتمعات العربية والإسلامية وأن تجفيف منابع تلك القوى إنما يستلزم إشاعة الديمقراطية والقيم الليبرالية في تلك المجتمعات من ناحية أخرى، وعلى صعيد تلك المجتمعات نفسها فإن مرور ما يقرب من نصف القرن في أغلب المجتمعات العربية والإسلامية وسواء على فشل تجارب الحكم الوطني والتقدمي أو على تعثر الحكم التقليدي والمحافظ الذي حظي بالحماية وبالدعم الأمريكي –قد خلف اقتناعا متزايدا لدى قواها الوطنية ونخبها المثقفة بأن البديل الوحيد أمامها هو التوجه نحو مزيد من الانفتاح السياسي والاجتماعي والثقافي أو بعبارة أخرى نحو تحقيق الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان ،لذلك فإن الإصلاح نتيجة لارادتين داخلية (وطنية شعبية) وخارجية. [1]

وهكذا إذن فإن الإصلاحات المطلوب تحقيقها تهدد خصوصية النظم السياسية العربية لا خصوصية المجتمعات والشعوب التي لم تعد تحلم بشيء آخر سوى الحرية والعدالة والإنصاف والكرامة والاحترام، باختصار أن ما ترفضه أكثر الحكومات العربية هو بالضبط ما تريده المجتمعات العربية وهو توسيع المشاركة الاقتصادية والسياسية والاعتراف بالحد الادنى من حريات التعبير والتنظيم للمجتمعات نفسها والخروج من نظام لا يمكن وصفه إلا بأنه قائم على التجريد العملي لشعوب بأكملها من حقوقها المدنية والسياسية.

أن ما ترفضه الحكومات العربية ليس التدخل في شؤونها ولا التخلي عن امتيازتها الهائلة وإنما التنازل عن امتيازات سياسية مهما كانت رمزية لصالح مجتمعات أصبحت تنظر إليها كعبيد ولا تقبل بأن توضع على مستوى واحد معها أنها مستعدة للقبول بكل التنازلات مهما كانت للأمريكيين والأوروبيين وكل من تعتبرهم أسياداً مثلها لكنها تعتقد أنها ستخسر ماء وجهها وتفقد

([1]) حرب، أسامة الغزالي، ٢٠٠٥، الدور الخارجي وإصلاح الشرق الأوسط، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٦٠ أبريل، المجلد ٤٠، ص٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وجودها نفسه إذا قبلت ولو للحظة واحدة أن تعترف بشعوبها وتقبل بأن تعاملهم كرجال أحرار أصحاب حقوق وآراءه ومسؤولية وهذا هو جوهر الصراع العميق القائم في المنطقة وهوما تسعى إلى إخفائه النظم العربية بإعلانها الرفض المطلق لمشاريع الإصلاح الخارجية باعتبارها تدخلا في شؤونها واعتداء على السيادة الوطنية. (١)

المبحث الثالث:

الولايات المتحدة وحقوق الإنسان:

كيف تتعامل الولايات المتحدة مع قضية حقوق الإنسان باعتبارها معياراً أساسياً لتقييم أي نظام حكم ديمقراطي وهي تتقدم لمبادرة الإصلاح والديمقراطية في الشرق الأوسط الكبير؟؟

تقول الباحثتان الأمريكيتان آمي برتولومي وجينيفر بريكسبير في بحث لهما عن حقوق الإنسان في عصر العولمة والقطب الواحد أن حقوق الإنسان أصبحت سيفا مصلتا على رقاب جميع دول العالم الثالث وبعض الدول الأخرى مثل يوغسلافيا السابقة وتستخدمه الإمبراطورية الجديدة عندما تشاء وكيفما تشاء لخدمة مصالحها وقد ابتدعت مفهوما جديدا بحجة الدفاع عن حقوق الإنسان "اصبح يعرف باسم "التدخل العسكري لاسباب انسانيه"ويعرف أيضا بمفهوم "الحرب الاستباقية" الذي يصر دعاته على ان لحقوق الانسان بموجبه الاولويه او الاسبقيه على القانون الدولي وتعتبر الباحثتان هذا التوجه الذي يرمي بالدرجة الأولى إلى تبرير الإمبريالية الجديدة وحمايتها لا يختلف في جوهره عن المنطق الاستعماري القديم الذي جرد الحملات العسكرية الجباره للاستيلاء على ثروات وخبرات البلدان غير الأوروبية بحجة جلب الحضارة إلى الشعوب "المتخلفة".

ويضيف نعوم تشومسكي في هذا السياق أن الولايات المتحدة الأمريكية تتمسك منذ صدور الإعلان العالمي لحقوق الإنسان بتفسيرها الخاص لحقوق الإنسان وهو تفسير انتقائي يتغير مع تغير متطلبات سياسة الإدارة.

ويقول الصحفي الأمريكي وليام فاف في مقال بعنوان الصدمة والترويع "أن أنظمة الجيش الأمريكي حول التعامل مع أسرى الحرب قد تم تجاوزها حيث جرى اعتبار هؤلاء الأسرى بقرار رئاسي اعداء مقاتلين وليسو أسرى حرب" ويضيف الكاتب"أن وزير الدفاع دونالد رامسفيلد يكرر

(١) غليون، برهان، جريدة الاتحاد الإماراتية، ٢٠٠٤/٦/٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القول بأن هؤلاء الذين يعارضون الولايات المتحدة في العراق وفي أماكن أخرى ينبغي قتلهم وهو لا يتحدث عن سبيل هزيمتهم دع جانبا معارضتهم ويستنتج الكاتب "وكل هذا يتطابق مع اتجاه نهج العنف للمحافظين الجدد في إدارة بوش الذين يؤيدون منذ سنوات أن التاريخ يتشكل عبر العنف وأنه في الشأن القومي يحق للنخبه الحاكمه تضليل الجمهور من أجل تحقيق الأهداف التي يستطيع القادة وحدهم إدراكها بحكم موقعهم"[١].

بينما كتب "انطوني لويس" مقالا في صحيفة نيويورك تايمز بعنوان "رئيس فوق القانون يقدم مثالا سيئا"جاء فيه"لكن بوش رفض التعامل مع اتفاقية جنيف الثالثة وقرر أن جميع سجناء غوانتانامو هم مقاتلون غير شرعيين أي جنود غير نظاميين بل جواسيس وارهابيين وما شاكل ويخلص الكاتب الى القول وبدلا من بلد ملتزم بالقانون فالولايات المتحدة الأمريكية يجري النظر إليها الآن كبلد ذو مثلا شرعية رفيعة وبعد ذلك يعلن بأنها (أي المثل) ينبغي أن تطبق على الجميع ما عداه نفسه." [٢]

أما منظمة العفو الدولية فقد ذكرت في تقريرها عن العام ٢٠٠٣ الصادر في أيار ٢٠٠٤ما يلي: أن الولايات المتحدة واصلت في عام ٢٠٠٣ الحرب التي بدأتها على الإرهاب بأساليب غير مناسبة وعمياء ونبه التقرير إلى أن واشنطن استهانت بشكل ظاهر بالأعراف الدولية وبالمبادئ الدستورية الأمريكية[٣].

وجاء في تقرير هيومان رايتس ووتش Human rights watch لعام ٢٠٠٤ ما يؤكد أن واشنطن تحايلت على القانون الدولي وأمضت سنتين وهي تخفي أو تتجاهل تقارير تفيد بقيام الجنود الأمريكيين بالتعذيب وأن الفظائع التي حدثت في أبو غريب نجمت عن قرارات اتخذتها إدارة بوش نتيجة القواعد جانبا وأن الحرب على الإرهاب تسمح للولايات المتحدة بالتحايل على قيود القانون الدولي[٤].

---

(١) htpp: //www.wajhat.ae.

(٢) الأشهب، نعيم، ٢٠٠٥، مشروع الشرق الأوسط الكبير، الطبعة الأولى، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، ص٣٣- ٦٣.

(٣) http://www.amnesty.org/arabic

(٤) http://www.hrw.org/arabic

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد انتقد كوفي عنان في حزيران ٢٠٠٤ بقوة محاولات واشنطن لاستصدار قرار من مجلس الأمن الحصانة للجنود الأمريكيين من أي عقاب دولي ويذكر أن المحكمة الجنائية الدولية تشكلت بموجب معاهدة روما لعام ١٩٩٨ ووقعتها ١٣٥ دولة من بينها الولايات المتحدة الأمريكية في عهد الرئيس السابق بيل كلينتون لكن الرئيس جورج بوش سحب توقيع بلاده وحتى قبل تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ هذا بالنسبة لموقف الولايات المتحدة من حقوق الإنسان أو حتى نكون أكثر دقة موقف إدارة الرئيس بوش أما موقف الولايات المتحده طيلة العقود الماضيه فهو يمثل السكوت والصمت على انتهاك الأنظمة العربية لحقوق الإنسان أما الأوروبيون والذين يأتون لهذه المنطقة أيضا بمشاريع إصلاح فلا يختلف موقفهم كثيرا ويحملون نفس الازدواجية فقد تجاهل الأوروبيون والغرب عموما مسألة حقوق الإنسان والديمقراطية في تعاملهم مع هذه الأنظمة التي لا مشروعية لها فقد كان يهم الدول الأوروبية تحقيق مصالحها التجارية والمادية فقط ولا تعبأ بمصير الشعوب المحكومة من قبل أنظمة سياسية لا تتقيد إطلاقا بحقوق الإنسان والحريات الأساسية والتعددية والديمقراطية ومع ذلك فإن الأوروبيين لا يملون اليوم من إعطائنا الدروس والمواعظ عن حقوق الإنسان، فإذا كانت تهمهم إلى مثل هذه الدرجة حقا فلماذا غضوا الطرف عنها طيلة الفترة الماضية وعقدوا الصفقات التجارية الكبرى وأقاموا العلاقات الدبلوماسية مع أنظمة يعرفون جيدا مدى احتقارها لشعوبها.

فهل يجرؤ السياسيون الأوروبيون لكي يقولوا بصوت عالٍ ما يفكرون فيه بصوت منخفض؟ هل يجرؤ على مصارحة زملائهم من مسؤولي البلدان العربية بحقيقة الأمر؟ وهل المصالح التجارية والمالية ينبغي أن تتغلب دائما على الاعتبارات الإنسانية والديمقراطية؟ إلى متى سوف تبقى اللغة الدبلوماسية تخفي الحقيقة تحت طيات الرقة واللطف والمجاملات والابتسامات العريضة؟؟.

ينبغي على أوروبا أن تحسم موقفها من بعض الأنظمة السياسية وتقول لها:إن اعترافها بها وتعاملها معها مشروطان بمدى احترامها لحقوق الإنسان على أراضيها وفي المجتمع الذي يفترض أنها تمثله. فالكل يعرف التقارير السنوية التي تنشرها منظمة العفو الدولية والكل يعلم كيف أن أكثر الدول الأوروبية إعطاء الدروس والمواعظ في مجال حقوق الإنسان والديمقراطية تتعاطى في الوقت ذاته علاقات اقتصادية وتجارية مع هذه الأنظمة بالذات، أي مع الأنظمة التي تدوس

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

برجليها كل يوم حقوق الإنسان والمواطن والحريات الديمقراطية وهذا يكشف عن ما للغرب مـــن لا مبالاة كاملة بمصير الشعوب الأخرى والأشخاص الآخرين وهكذا تنعم الشعوب الغربية بكل أنـــواع الحريات الديمقراطية وتستمر الشعوب الأخرى في التعرض للمهانة والتعسف والذل، الا يعبر ذلـــك عن أنانية فاضحة ؟ الا يعبر عن استقالة فكرية وأخلاقية؟أليس من النفاق إدانة انتهاك حقوق الإنسان ثم التعامل مع منتهكيها في الوقت ذاته وإلى متى يمكن للغرب أن يستمر في رفاهيتة وديمقراطيتـــة وحريتة في حين أن الشعوب الأخرى والعربية منها تعاني من البؤس والقهر والحرمان، هل حكـــم عليها أن تظل خارج التاريخ ما لا نهاية.؟

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الرابع:

التحديات التي تواجه الإصلاح السياسي في الوطن العربي:

يجمع العديد من الباحثين على أن أهم عقبات الإصلاح في الوطن العربي تتمثل بما يلي:

١-عدم جدية بعض النظم العربية في عملية الإصلاح إذ تعمد هذه النظم إلى اتخاذ إجراءات شكلية قد توحي بوجود توجه انفتاحي بهدف مواجهة المطالب الداخلية والخارجية التي قد تتعرض لها دون أن يعني ذلك توجها حقيقيا للإصلاح وتوسيع نطاق المشاركة السياسية[١].

٢- الثقافة السياسية لدى بعض قطاعات المجتمع العربي التي ترفض فكرة الإصلاح والديمقراطية باعتبارها نتاجا للفكر الغربي ومحاولة خارجية للتدخل في الشؤون الداخلية لدول المنطقة أو انطلاقا من فهم قاصر للدين الإسلامي يرى بوجود تعارض بينه وبين قيم الديمقراطية والإصلاح السياسي ويرتبط بذلك غياب العديد من القيم التي يمكن ان تشجع على عملية الاصلاح مثل الحوار وقبول الاخر ووجود شكل سلمي لتداول السلطة ليس فقط داخل مؤسسات الحكم وانما في كافة المؤسسات الأخرى إذ يلاحظ فكرة الحكم المطلق والجمود على العديد من هذه المؤسسات فزعماء الأحزاب السياسية نادرا ما يتغيرون وكذلك الحال في مختلف المؤسسات ويرجع البعض ذلك لحداثة تجربة الإصلاح في العالم العربي وطبيعة تطورها.

٣- ضعف مؤسسات المجتمع المدني في العالم العربي خاصه وإن هذه المؤسسات هي الأكثر قدرة على الضغط على الحكومات والأنظمة العربية لإجراء أكبر قدر ممكن من الإصلاح والتغيير.

٤- الضغوط التي تمارسها بعض الأطراف الخارجية لإعادة عملية التحول الديمقراطي في المنطقة على أساس أنها يمكن أن تدفع بعض القوى والجماعات المناهضة لها للوصول للسلطة وهو ماحدث بالفعل في الجزائر عام ١٩٩٢ عندما تدخلت الولايات المتحدة لدعم موقف الجيش والحكومة من إلغاء الانتخابات التي فازت بها الجبهة الوطنية للإنقاذ.

---

[١] http://www.arabreform forum.org.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥- استمرار الصراع العربي الإسرائيلي الذي يعد في مقدمة العوامل التي تسببت في تعثر عملية الإصلاح والتطور الديمقراطي والتنمية في المنطقة حيث تتذرع العديد من الدول العربية بهذه القضية في تأجيل الإصلاحات حتى تتم تسوية الصراع واستعادة الأرض[١].

٦-تصاعد الضغوط الخارجية والمطالبة بالإصلاح في المنطقة الذي يمكن أن يواجه برد فعل عكسي ويخلق فئة رافضة للإصلاح باعتباره محاولة للتدخل في شؤون المنطقة، الخاصة في ظل أزمة المصداقية التي تواجهها الولايات المتحدة والدول الغربية في تعاملها مع قضايا المنطقة.

ويرى الباحث أن تلك الأسباب التي ذكرت لمعيقات للإصلاح غير دقيقة في بعض جوانبها فالنقاط الثلاثة الأولى صحيحة وواقعية إلى حد ما أما النقاط الثلاثة الأخيرة فهي ليست صحيحة على الإطلاق وإنما تتخذ مبررات لعدم الإصلاح وليس عوائق حقيقية أمامه.

فيما يتعلق بالتدخلات الخارجية لمنع جهة معينة من الوصول إلى الحكم عبر الانتخابات فهو لم يحدث إطلاقا إلا في حالتين الجزائر ١٩٩٢ وحماس ٢٠٠٦ والحقيقة أن المثقفين والسياسيين والإعلاميين في العالم العربي يرددون نفس التساؤل حول التناقض الذي تبديه الولايات المتحدة والغرب في موقفها تجاه الديمقراطية في تلك البلدان فكيف يمكن التوفيق بين دعوة الغرب إلى الإصلاح والديمقراطية وبين رفضهم لنتائج الانتخابات الديمقراطية والشرعية في كلا من الجزائر والسلطة الفلسطينية والواقع أن الغرب لا يدعو إلى الديمقراطية بحدودها الضيقه تلك، وإنما يتحدثون عن الليبرالية السياسية والديمقراطية بمفهومها الشامل من حيث هي تداول سلمي للسلطة وأداة لحفظ التوازنات وحل توافقي لمختلف الآراء والمصالح وتفعيل مؤسسات المجتمع المدني وسيادة القانون ....الخ وليست الديمقراطية عملية انتخابات فقط ،خذ إيران مثلا فيها انتخابات رئاسية وتشريعية لا شك في نزاهتها لكن إيران ليس ديمقراطية ولا ليبرالية فالمواطنين في العالم الثالث امامهم مهام كبيرة وعديدة يجب إنجازها قبل الحديث عن الديمقراطية باعتبار أن الديمقراطية ليست عملية

---

[١] Ibid.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

انتخابات فقط بل أن العملية الانتخابية هي شكل أو تعبير عن احد أوجه الديمقراطية وليس عن الديمقراطية بحد ذاتها. [١]

أما فيما يتعلق بالصراع الإسرائيلي كأحد معيقات الإصلاح فإن الباحث يرى أن تلك القضية ليست أكثر من مجرد تبرير لعدم القيام بالإصلاح فعلى العكس من المفترض أن يدفع الصراع العربي الإسرائيلي النخب العربية الى التسريع في الاصلاح فلا اقل من بناء الذات وتحصين الامه وتسليحها بالعلم والمعرفة والاقتصاد والتكنولوجيا لمواجهة إعداءها ولا أقل من قيام الأنظمة العربية بالتصالح مع شعوبها وإعطاءها حريتها وأطلاق حرياتهم في الإبداع والإنتاج على كل المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وهكذا فإن التحديات الخارجية تفرض نفسها كدافع للتغيير والبناء وليس عائقا أمامه هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن إسرائيل عمليا وعلى أرض الواقع قد تجاوزت الصراع العربي الإسرائيلي كمحدد لوجودها ففي الوقت الذي يعتبر العرب أو الفلسطينيين أن القضية الفلسطينية هي قضيتهم ومجمل مشكلتهم يعتبر الإسرائيليون أن الصراع العربي الإسرائيلي هو جزء من مشاكلهم وليست كلها وبالتالي فهم يتعاطون مع قضايا إقليمية ودولية وعالمية أكبر من مستوى القضية الفلسطينية .

إن كعب اخيل جهود الإصلاح والتنمية في الوطن العربي هو ذلك الخط الرفيع الذي يفصل بين الوصاية والمشاركة وهذا الخط كثيرا ما لا يرى فالمجتمع نفسه هو المستفيد النهائي من الإصلاح ويمكن القول أنه لا يمكن القبول بفكرة رفض الإصلاح كونه من الخارج وأنه كما تقول القاعدة الشرعية فإن درء المصالح مقدم على جلب المصالح. [٢]

---

(١) مخادمة، ذياب، جريدة العرب اليوم، في الطريق إلى الإصلاح، ٢٠٠٦/٥/٣١.

(٢) El Hassan bin Talal , Op. cit , p7.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الرابع

العالم العربي في بيئة متغيرة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العالم العربي في بيئة متغيرة

المبحث الأول:

التغير في مفهوم القوة: (قوة الاقتصاد)

القوة هي القدرة على التأثير على النتائج لتتفق مع ما تريد وثمة أشكال مختلفة للقوة وطرق مختلفة لاكتسابها فهناك القوة العسكرية والقوة الاقتصادية ويمكن القول بأنها امتلاك أكبر قدر ممكن من الموارد كالسكان والمصادر الطبيعية والاقتصاد القوي والاستقرار السياسي...الخ. ويمكن القول أيضاً أن هناك قوة ثقافية أو حضارية لكن القوة بمفهومها الشامل هي الأكثر تداولاً[1].

وعلى العموم فقد تطورت وتغيرت مصادر وعناصر القوة مع مرور القرون والتطور التكنولوجي ففي المجتمعات الزراعية والأوروبية التي سادت في القرن السابع عشر والثامن عشر كان العنصر السكاني مصدر قوة لأنه كان بمثابة قاعدة لتامين المال للضرائب والمتطوعين. ثم أصبحت القوة للمجتمعات الصناعية وهكذا....

وانعكست هذه التطورات على سلوك الدول الكلاسيكي تجاه النزوع إلى امتلاك الأراضي والتوسع الجغرافي فإنكلترا في الربع الأخير من القرن التاسع عشر خصصت جزءاً هاماً من طاقاتها للاستيلاء على مستعمرات جديدة خاصة في أفريقيا، في حين أنها قامت بعد الحرب العالمية الثانية بالجهود نفسها من أجل التخلص من هذه الإمبراطورية الاستعمارية.

وكما في الفيزياء المادة لا تفنى ولا تتبدد وإنما تتحول من شكل إلى آخر كذلك في العلاقات الدولية فالقوة لا تفنى ولا تتبدد ولا يستعاض عنها وإنما تتحول من شكل إلى آخر وبالفعل فقد تراجعت أهمية القوة العسكرية في العالم اليوم لصالح القوة الاقتصادية وذلك لسببين الأول هو الارتفاع النسبي في حدود التكلفة لاستعمال القوة العسكرية والثاني لأن الأهداف الاقتصادية تطغى بشكل كبير في قيم المجتمعات (الما بعد صناعية) التي تركز على الرفاه والرخاء أكثر من تركيزها على المجد والعظمة.

---

(1) Nye, Joseph, Op, cit , p14.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد حازت اليابان أو سنغافورة أو هونج كونج رغم قلة أراضيها ومحدودية سكانها وانعدام مواردها الطبيعية على مرتبة اقتصادية تحسد عليها دون أن تحتاج إلى اللجوء إلى الإمبريالية لتنمية ثرواتها، وقد أوضحت محاولة العراق غزو الكويت أن السيطرة على الثروات الطبيعية كالنفط يمكّن من أرباح اقتصادية محتملة كبيرة جداً ولكن النتيجة النهائية لهذا الغزو برهنت على أنه لم يعد ممكناً الحصول على ثروات جديدة باستعمال مثل هذه الطرق وربما أن النفاذ إلى هذه الموارد نفسها ممكن بواسطة لعبة السوق الحر الاقتصادية فالحرب قد فقدت معناها الاقتصادية الذي يرجع إلى مائتي أو ثلاثمائة سنة وعشية الحرب العالمية الأولى نشر الصحافي (نورمان انجل) كتابه تحت عنوان (الوهم الأكبر) (The great illusion) حيث يعتبر أن حرية التجارة جعلت فكرة التوسع بالأراضي لا قيمة لها وأن الحرب قد أصبحت لا عقلانية من الناحية الاقتصادية. [١]

فيما مضى كانت الدولة الأقوى عسكرياً تحاول جاهدة إضعاف جاراتها أو أعدائها عسكرياً عن طريق التفوق في مجال الأسلحة الدفاعية والهجومية أو حتى اللجوء إلى إخضاعها عسكرياً وعادة ما تنظر إلى تطورها وتقدمها بعين الريبة والشك،أما اليوم فإن الدولة الأقوى اقتصادياً تعمل جاهدة أيضاً على تنمية وتطوير جاراتها اقتصادياً لأن نموها وازدهارها مرتبط بنمو تلك الدول وهذا ما تفعله الولايات المتحدة في منطقة النافتا NAFTA وما يفعله الاتحاد الأوروبي مع دول أوروبا الشرقية وتركيا.

إن منطق القوة المرتكزة على أساس عسكري يختلف جذرياً عن منطقة القوة المرتكزة على أساس اقتصادي ففي الحالة الأولى كلما كانت الدولة أقوى عسكرياً بجيشها وسلاحها وتدريبها وتنظيمها ومساحتها الجغرافية وموقعها الاستراتيجي وطاقاتها البشرية - كان الميزان الاستراتيجي يميل إلى صالحها وتملك القدرة على التأثير على الآخرين وتجبرهم على تغير سلوكهم والانصياع لرغباتها وذلك بحكم القوة العسكرية[٢].

أما في الحالة الثانية (عندما تكون القوة اقتصاديه) فإنه كلما كان للدولة أسواق تصديرية أكبر وحجم تجارة خارجي أضخم والميزان التجاري بينها وبين الدول الأخرى يميل إلى صالحها

([١]) فوكاياما، فرانسنس، نهاية التاريخ والإنسان الأخير، ١٩٩٥، لبنان، مركز الإنماء القومي، ص٣٨.

[٢] المرجع السابق، ص٤١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فإنها ستكون الأضعف ،لأنها تعتمد في جزء كبير من قوتها ليس على نفسها بل على علاقتها مع غيرها ولنأخذ مثالاً على ذلك العلاقة بين الولايات المتحدة والصين حيث يميل الميزان التجاري بين البلدين لصالح الصين بصورة كبيرة بمعنى أن هناك عجزاً تجارياً على الولايات المتحدة أن تتحمل تأثيراته وأن الصين هي الرابح في هذه العلاقة وأن موقفها الاقتصادي أقوى من الولايات المتحدة ومن المفترض حسب المنطق الطبيعي للقوة أن تمارس الصين نفوذها على الولايات المتحدة لكن الذي يحدث في الواقع هو العكس، فضمن منطق أشمل وبعد استراتيجي أعمق فإن الولايات المتحدة هي من تستطيع التأثير على الصين لأن الأسواق الأمريكية المفتوحة أمام الصادرات الصينية هي أداة بيد الولايات المتحدة وليس الصين مما يعني أن الولايات المتحدة قادرة على تعديل سلوك الصين وتملك القدرة على الضغط عليها وهذا ما نراه في العلاقة بين البلدين في مجال حقوق الإنسان ودخول الصين لمنظمة التجارة العالمية وحيث أن اغلاق الأسواق الأمريكية أمام الصادرات الصينية يعني كارثة صينية.

هذا المنطق لا ينطبق على الصين وحدها وإنما ينسحب على باقي التعاملات التجارية العالمية في ظل ازدهار التجارة الدولية وتنوعها والاعتماد على الآخر، ففي العراق مثلاً كان الحصار الاقتصادي الدولي كأداة ضغط على نظام صدام حسين لا تكمن أهميته في منع العراق من الاستيراد من الخارج وإنما في الحيلولة دون فتح المجال أمام صادرات العراق النفطية وكانت النتيجة انهيار البلد.

لقد جاء إطلاق مشروع مارشال لسببين الأول: إعادة اعمار أوروبا واليابان لتكون شريكاً للولايات المتحدة في مواجهة المد الشيوعي، والثاني: لاحتواء ألمانيا التي أدت الحرب العالمية الأولى لظهورها كنظام نازي معادٍ مجروح في كرامته وراغب في الثأر[1]. وقد حقق المشروع مبتغاه فأعداء الأمس أصدقاء اليوم وأصبحت ألمانيا بفضل مشروع مارشال كأداة اقتصادية للتغيير نواة للسوق الأوروبية المشتركة وتالياً الوحدة الأوروبية، وأصبح المارك وتالياً اليورو وليس طائرات هتلر هو ضمان الاستقرار الأوروبي والشعار الثلاثي "المرسيدس" أكثر شهرة وقبولاً من الصليب النازي المعقوف ، وأصبحت اليابان اليوم الديمقراطية الليبرالية وليس الديكتاتورية العسكرية كما في الثلاثينات تهيمن على أسيا بواسطة "الين Yen" وليس بقوة المدافع.

---

[1] البيلاوي، حازم، النظام الاقتصادي العالمي، الكويت، ٢٠٠٠، عالم المعرفة، العدد ٢٥٧، ص١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهكذا يتبين أن الاقتصاد كشكل من أشكال القوة استطاع التأثير في مسرح العلاقات الدولية بشكل كبير وفي بعض الحالات إن لم نقل جميعها كان له الفضل الأكبر في التغيير الإيجابي على سلوك الدول أكثر من غيره من الأدوات وخاصة العسكرية التي تضاعفت كلفتها على المجتمع البشري وبشكل مذهل بفعل التقدم التكنولوجي فمنذ الحرب العالمية الأولى جعلت التقنية التقليدية الحرب جداً مكلفة بحيث أن مجتمعات بكاملها تعرضت للانهيار لدى مشاركتها في نزاع حربي حتى وإن عدت في صف المنتصرين في النهاية.

إن ما يمكن تسميته بموسم الصيد في تاريخ البشرية قد انتهى وأصبح غزو مناطق جديدة للصيد صعباً وباهظ التكاليف للغاية والأصعب من ذلك أن تتنافس حصيلة الصيد مع إنجازات العلم وبالطبع لا يزال هناك في العالم شعوب قوية وشعوب ضعيفة ولكن لم تعد هناك مربحية في السيطرة على الضعيف وتحمل ثمن الضعيف ولو اقترح شخص ما على ملكة بريطانيا اليوم أن تقبل من جديد كل المستعمرات لكانت قد رفضت، ذلك أنه لو قبلت بذلك لكانت قد عرضت بريطانيا للإفلاس فالثراء الحديث يتراكم من تسويق ال" تشيبس" (Chips) أكثر مما يأتي من أسواق الهند الكبيرة. [١]

المبحث الثاني:

الوطن العربي وطريق التغيير:

يرى الباحث أن الوطن العربي يجب أن يصبح أكثر إدراكاً للمتغيرات التي يمر فيها العالم فالتطور التكنولوجي والعولمة والانفتاح الاقتصادي غيرت الأدوات وآليات التوازن وكل البنى القديمة التي كان العالم يتفاعل مع نفسه بواسطتها وأكثر من ذلك أصبحت التكتلات الدولية الإقليمية ظاهرة بارزة في عالم اليوم فالنجاح الذي تنشده أية دولة لن يتحقق في ظل هذا الاندماج العالمي إلا من خلال التكامل والاعتماد المتبادل فيما بين الدول وعلى هذا النحو قام الاتحاد الأوروبي ونافتا NAFTA ومناطق التجارة الحرة المتعددة في بقاع مختلفة من العالم[٢].

([١]) شمعون، بيريس، وادي السلام، القدس، ١٩٩٤، منشورات وزارة الخارجية، إسرائيل، ص٧.

[٢] البيلاوي، مرجع سابق، ص٢٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بينما -للأسف- يعاند الوطن العربي أحلام مواطنيه في أن يكون جزءاً من هذه المنظومة الدولية وحتى دونما أن يتمكن من التوصل لأدنى صيغه من التوافق فيما بين أقطاره وأيضاً دونما قدرة على مواجهة التحديات التي تفرضها التغيرات الكونية وخاصة في المجال الثقافي والحضاري والحفاظ على الخصوصية وإثبات الهوية فالمواطن العربي يعيش الآثار السلبية لأربعة حروب تدور في آن معاً الحرب في فلسطين والحرب في العراق والحرب على الإرهاب التي تدور رحاها في العالم العربي وأخيراً حرب الهوية، ويرى الباحث إذا أدرك الوطن العربي التغيرات التي طرأت على مفهوم القوة وخاصة القوة الاقتصادية فإن ذلك سينعكس بشكل كبير وجوهري على قضاياه. ومشاكله التي عاش طوال القرن الماضي يكافح من أجلها وهذه القضايا هي الوحدة العربية والصراع العربي –الإسرائيلي- فعلى أساس الاقتصاد سيتم تحويل المطالب الوحدوية للعالم العربي من وحدة سياسية إلى وحدة اقتصادية ينتج عنها بالضرورة روابط أقوى وأمتن من تلك الروابط التي يمكن أن تتحقق من أي شكل أشكال التعاون والتضامن العربي.

وعلى أساس الاقتصاد سيتم تحويل الصراع العربي الإسرائيلي من صراع عسكري إلى احتواء اقتصادي يمارس ضغطاً وتأثيراً على إسرائيل أكثر بكثير من تلك المدافع الصامتة التي يعتليها الغبار على طول الحدود.

المبحث الثالث:

الوحدة العربية:

يرى برنارد لويس أن العالم العربي يشابه وضع دول أمريكا اللاتينية كمجموعة من البلدان التي تربطها لغة وثقافة مشتركة ودين واحد وتاريخ مشترك وشعور بوحدة المصير ولكن دون أن يتم ترجمة ذلك في شكل وحدة أو كيان سياسي مشترك[1].

ويرى الباحث أن برناردلويس قد يكون محقاً فطيلة أكثر من تسعين عاماً لم تستطيع اللغة والجغرافيا والتاريخ والدين ووحدة المصير من أن تصنع شكلاً ولو باهتاً من أشكال الوحدة العربية بل على العكس تعمقت الخلافات بين أقطار الوطن العربي على طول تلك السنين وتجذرت وأصبحت أكثر تعقيداً والواقع أنه قد تكون الثقافة واللغة والتاريخ والدين عوامل مساعدة على الوحدة

([1]) كيالي، مرجع سابق، ص١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولكنها ليست شرطاً لها وقد تحققت الوحدة لبلدان وشعوب لا تنتمي إلى أمة واحدة أو ثقافة واحدة مثل الاتحاد الأوروبي ورابطة دول جنوب شرق آسيا.

ولا تحتاج فكرة الوحدة أو الاتحاد بالضرورة إلى فلسفة قومية أو فلسفة قطرية معادية للقومية وإنما يحتاج إلى توافق على المصالح وإرادة سياسية للإلتقاء يستند أساساً إلى التكامل والتوحد الاقتصادي عن طريق قيام مشاريع اقتصادية مشتركة فيما بين البلدان العربية لن يتم التنازل فيها عن أي مظهر من مظاهر السيادة الوطنية لتلك البلدان مبدئياً.

من هذه المشاريع مثلاً مشاريع الربط الكهربائي بين الدول العربية وهو ما يحصل فعلياً بين البلدان مثل مصر وسوريا والأردن وفلسطين ومشاريع ربط أنابيب الغاز ثم النفط ثم المياه وهكذا.

ويمكن أيضاً إقامة شركات كبرى مساهمة تعمل في أكثر من بلد عربي وتكون ملكيتها موزعة على مواطني تلك الدول بالإضافة إلى مناطق التجارة الحرة العربية ومناطق التجارة البينية وغيرها الكثير الكثير من المشاريع الاقتصادية المشتركة.

وتكمن أهمية هذه المشاريع الاقتصادية وهذا الشكل من الوحدة أنها لا تنازع النخب الحاكمة في البلدان العربية أياً من صلاحيتها وامتيازاتها كما تكمن أهميتها بأنها تستطيع أن تخلق مصالح مشتركة لرعايا ومواطني البلدان العربية وبالتالي يصبح التقارب العربي وتوحيد السياسات العربية مطلب الطبقات الوسطى العربية وهي الطبقات القادرة على إحداث التغير في النظام السياسي، وكلما ارتفع مستوى المعيشة لتلك الدول كلما انخفض مستوى التوتر بينها.

في ديسمبر ٢٠٠٤ عندما أجرت تايوان انتخاباتها البرلمانية كان يتوقع أن يفوز حزب الرئيس (تشن تشوي بيان) المؤيد للاستقلال (الحزب التقدمي الديمقراطي) في الانتخابات على الحزب الوطني المعارض الذي يؤيد إقامة علاقات أوثق مع بكين ،صور تشن الانتخابات على أنها بمثابة استفتاء شعبي يكرس الاستقلال والانفصال عن الصين بشكل رسمي منهياً الوضع الوضع الراهن، الغامض، ولو فاز تشن ومضى قدماً في جعل تايوان وطناً مستقلاً مقابل الحفاظ على الوضع الراهن الوهمي بأنها مقاطعة من مقاطعات البر الصيني لكان أدى ذلك إلى هجوم عسكري صيني ضد تايوان. وقد حبس الجميع أنفاسه في المنطقة فماذا حدث؟ صوت غالبية التايوانيين ضد الحزب الحاكم المؤيد للاستقلال مما ضمن عدم تمتع الحزب الحاكم بالغالبية في البرلمان، لم تكن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الرسالة التي نقلها التايوانيين تعني أنهم لا يريدون الاستقلال بل أنهم لا يريدون، لإخلال بالوضع الراهن الآن وهو الوضع المفيد جداً للعديد من التايوانيين من الناحية الاقتصادية ومن أن التايوانيين يدركون تماماً مقدار مشاركتهم مع البر الصيني واختاروا بحكمه المحافظة على استقلالهم الفعلي بدلاً من فرض استقلال شرعي وهمي يمكن أن يطلق شرارة غزو صيني ومستقبل ينعدم فيه اليقين. (١)

إذا استطاع الوطن العربي اعتماد الاقتصاد كقوة دافعة فسيمكنه ذلك من تحقيق عدة مزايا أهمها تشكيل نوع من الوحدة عجزت كل الخطابات القومية والتقدمية وحتى الإسلامية من تحقيقها طيلة القرن المنصرم وسوف يتم تشكيل نواة لوحدة اقتصادية عربية تبدأ بالتعاون الاقتصادي ثم التكامل وإلغاء التعريفات والرسوم الجمركية وإيجاد سوق مشتركة ومن ثم عمله عربية موحدة وبنك مركزي عربي .... الخ.

ومن ثم سوف تحتاج البلدان العربية إذا ما واصلت في هذا الاتجاه إلى مؤسسات شفافة لأن بيئة الأعمال لا بد أن تتوفر على تشريعات وقوانين ملائمة أساسها سيادة المؤسسات والأحتكام إلى القوانين وقضاء عادل ونزية لأنه لا يمكن أن نتصور استثمارات ناجحة واقتصاد ناجح في أي بلد دون أن يكون هناك استقرار تشريعي وقانوني وبالتالي استقرار سياسي عندها سيصبح هامش المناورة ضيقاً جداً أمام القيادات العربية للقيام بمعاركها الإعلامية والسياسية فيما بينها هذا من ناحية ومن ناحية أخرى سيكون الوطن العربي قد سار في حركة العالم الكونية –العولمة-الانفتاح والتجارة العالمية الاعتماد المتبادل...الخ.

في العام ١٩٩٠ طرح مارك هيلر Mark Heller في مجلة فورين أفيرز (Foreign affairs) السؤال التالي –هل الوطن العربي لا يسير مع التاريخ وهل أنه ذو حصانة من الاتجاهات التي تؤثر في أرجاء العالم الأخرى(٢).

الجواب أنه منذ العام ١٩٩٠ ولغاية اليوم ليس هناك ما يؤكد أن الوطن العربي يساير التاريخ بل على العكس فهو يعانده معاندة تامة فقد انهار جدار برلين ودخلت معظم اوروبا الشرقية

---

(١) Fridman, Thomas, 2005, The World is Flat, first edition, new York, farrar, straus, p424

(٢) Heller, Mark, Foreign affairst, Vol.59 No 1, 1990, pp152-171.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشيوعية القفص الليبرالي الديمقراطي الجديد، وحدثت ثورات ديمقراطية في أنحاء مختلفة من العالم رومانيا، أوكرانيا،جورجيا.... وما زال الوطن العربي على حالة لم يتغير ،أما الشق الثاني من السؤال هل الوطن العربي ذو حصانة من التغيير فالجواب بالقطع لا فرياح التغير التي تجتاح العالم حتماً سوف تؤثر فيه ولا يمكن له أن يبقى منغلقاً على نفسه خاصة وأن العولمة تفرض تحديات صعبة جداً فهي تهدد الثقافة والهوية والخصوصية هي تهدد المجتمعات العربية ليس كنظم سياسية فحسب بل تهددها على مستوى البنى الثقافية والاجتماعية وحتى القبلية والعائلية فالعولمة تفرض على الوطن العربي عملية تفكيك فكري وقيمي عميقة وتتراجع وتنحسر خصائصه اللغوية والثقافية وحتى المعيشية أمام المد العولمي، فالاقتصاد العالمي الحديث والحركة العلمية وصيرورة التصنيع التي حددتها الفيزياء الحديثة تجبر الإنسانية جميعها على المجانسة وتحطم أنواعاً كثيرة من الثقافات التقليدية خلال هذه الصيرورة[١].

وكما نعلم فإن الثقافات القوية تتمدد على حساب الثقافات الضعيفة والمجتمعات القوية لها صفه العمومية (بمعنى أنها تنشر ثقافاتها عالمياً وتعممها) والمجتمعات الضعيفة لها صفة الخصوصية والتوكيد الثقافي يتبع النجاح المادي والقوة الصلبة (العسكرية –الاقتصادية) تولد القوة اللينية (الثقافة الأيدلوجيا) [٢] وكما يقول ابن خلدون في مقدمته "المغلوب يستسيغ تقليد الغالب في زيه ونحله وسائر ظروفه وأحواله".

([١]) فوكاياما، فرانسيس، مرجع سابق، ص٢٢٥.

([٢]) هنتنغتون، صمويل، صدام الحضارات، ١٩٩٩، الطبعة الأولى، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ص٣٧٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الرابع:

الصراع العربي الإسرائيلي

كان لليهود الكثير من التاريخ وما لا يكفي من الجغرافيا وفي عام ١٩٤٨ تصالحت الجغرافيا مع التاريخ وتحت القسر والقتل والتعذيب جرد شعب كامل من وطنه وانتزع الإنسان من الأرض وقامت إسرائيل على دماء الفلسطينيين ومنذ ذلك التاريخ والوطن العربي يخوض معركته في استعادة الأرض وتحرير الإنسان وبعد مضي ما يقارب من ستين عاماً من الصراع وخمسة حروب فاشلة انتزعت إسرائيل اعترافاً رسمياً من الدول العربية ودخل الفلسطينيون ومعهم العرب في عملية سلام مهينة ولا يبدو أن المستقبل يحمل للفلسطينيين أكثر مما هم فيه.

في ٢٠٠٦/٦/٢٩،نشرت وكالات الأنباء العالمية الخبر التالي:

"تعرضت المواقع الإلكترونية الإسرائيلية في الساعات الأخيرة لعملية اختراق وتدمير، وقالت صحيفة يديعوت أحرنوت الإسرائيلية أن ٧٥٠ موقعاً تم اختراقها واتلافها بعد ساعات على العملية العسكرية الإسرائيلية في قطاع غزة، ومن بين المواقع التي تعرضت للتدمير موقع حزب كاديما حزب رئيس الوزراء أولمرت، وكذلك موقع BMW الإسرائيلي وبنك أوتسيار هحيال، وموقع سوبارو الإسرائيلي، وأشارت الصحيفة أن المقتحمين هم مجموعة مغربية وهي ذات المجموعة التي كانت مسؤولة عن إتلاف مواقع إسرائيلية عدة على الشبكة خلال العام الماضي وبحسب الصحيفة فإن قسم كبير من هذه المواقع لا يعمل حتى الآن، المهاجمون المغاربة تركوا الرسالة التالية على المواقع التي أتلفت: أنتم تقتلون الفلسطينيون ونحن نقتل السيرفرز Servers الإسرائيلية . انتهى الخبر. [١].

إذاً فالعالم الجديد يحتاج أسس جديدة وتوازنات جديدة وأيضاً يحتاج إلى قوى جديدة الخيار العسكري الذي اتبعه العرب في صراعهم مع إسرائيل فشل أو أفشل. حتى إسرائيل نفسها تخلت عن الخيار العسكري في التوسع، فالمعاهدات التي وقعتها مع كل من الأردن ومصر ثبتت حدودها النهائية مع هذه الدول وتخلى اليهود عن حلمهم الإمبراطوري من الفرات إلى النيل واستعاضوا عن ذلك بقوة الاقتصاد والتكنولوجيا.

---

[١] http://www.foxnews.com.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تبلغ مساحة إسرائيل ٢٤ ألف كيلو متر مربع في حين تبلغ مساحة الاتحاد السوفياتي ٢٤ مليون كيلو متر مربع، أكبر من إسرائيل بألف مرة بالضبط، ولم يكن للاتحاد السوفياتي أراضي شاسعة فقط وإنما كانت لديه موارد مالية غير محدودة كان هناك ثلاثة ملايين بحيرة في الاتحاد السوفياتي بحيرتان فقط في إسرائيل وكان لدى الاتحاد السوفياتي مائة ألف نهر اثنا عشر منها من أكبر نهار العالم أما في إسرائيل فهناك نهر واحد فقط وهو نهر مقدس تاريخياً أكثر منه مصدراً للماء ومع ذلك كان الاتحاد السوفياتي يعاني من نقص الغذاء أما إسرائيل فإنها تصدر الغذاء. [١]

ومن هذا المنطلق الذي يرى أن الاقتصاد والتكنولوجيا والتنظيم العقلاني للعمل هو السلاح الجديد لهذا العصر الجديد وأن أمم بأكملها وأنظمة حكم قد خضعت للابتزاز والمساومة تحت تأثير المساعدات الاقتصادية وتحت إغراء الرفاهية التي تعيشها المجتمعات الحديثة- فإنه يصبح لزاماً على الدول العربية أن تعيد تقييم صراعها مع إسرائيل بإنتاج أشكال جديدة للمقاومة والاحتواء بعد فشل الخيار العسكري- مرحلياً- فإسرائيل ليست دولة عصية على المواجهة ،وهي ليست فوق الموارد والإمكانات وليست بمنأى عن الضغوط ، فهي تحتاج الماء والنفط والموانئ البرية والبحرية وتحتاج العمالة والأسواق وتحتاج المساعدة الإقليمية لمواجهة أزمات البيئة والأمراض والأوبئة العابرة للدول.

بمعنى آخر فإن اختزال الصراع في البعد العسكري فقط يعطي إسرائيل الأفضلية نظراً لترسانتها العسكري المدعومة مباشرة من الغرب في الوقت نفسه الذي تتبدد طاقات وإمكانات الدول العربية على شراء السلاح والمزيد من التسليح الذي لا طائل منه.

في حين تستطيع الدول العربية استخدام أكثر من أداة للضغط على إسرائيل وما فعله الشباب المغاربة مثلاً من تعطيل السيرفرز الإسرائيلية يعطينا ولو بعض التدليل على ذلك.

ماذا لو قامت الدول العربية بفتح أسواقها أمام الصادرات الإسرائيلية وهو نفس العمل الذي قامت به الولايات المتحدة مع اليابان في أعقاب الحرب العالمية الثانية،فكان إغراق الأسواق الأمريكية بالبضائع اليابانية سياسة أمريكية لاحتواء اليابان والحيلولة دون وقوعها في (برآثن الشيوعية- نظرية الدومينو) وليس ضعفاً أمريكياً.

([١]) بيريز، شمعون، ٢٠٠٠، مستقبل إسرائيل، الطبعة الأولى، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع، ص١٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ماذا لو كان اعتماد إسرائيل كلياً في الطاقة على النفط العربي؟ ماذا لو كان تزويد إسرائيل بالمياه من تركيا عبر الأراضي السورية أو مباشرة من المياه العراقية؟ ماذا لو قام المستثمرون العرب بملياراتهم بدخول بورصة إسرائيل؟ ماذا لو كان اعتماد إسرائيل في سوق العمل على العمالة الفلسطينية؟ وماذا لو كانت موانئ ومطارات إسرائيل تمر بأراضينا؟.

هل يمكن تصور حجم الضغط الذي يمكن أن نمارسه على إسرائيل لو كانت جميع هذه الأدوات بأيدينا....؟

والمشكلة أن إسرائيل تستخدم ورقة الاقتصاد للضغط على الفلسطينيين وكسر إرادتهم فهي في كل رد انتقامي على أية عملية مقاومة فلسطينية تقوم بإغلاق المعابر وتمنع دخول العمال الفلسطين إلى أراضيها وتقوم اليوم بمنع تحويل أموال الضرائب والجمارك إلى الحكومة الفلسطينية وما إلى ذلك من إجراءات.

إن ما يفت في عضد المقاومة الفلسطينية ويجعلها غير قادرة على الاستمرار في النضال ليس الصواريخ والقذائف التي تسقط كل يوم وإنما هي الحالة المعيشية المتردية التي تحل بالفلسطينيين نتيجة الإجراءات الإسرائيلية أعقاب كل عملية وفي كل مفاوضات بين الجانبين لعقد هدنة مؤقتة يشترط الجانب الفلسطيني كأول إجراء السماح للعمال الفلسطيني بدخول إسرائيل للعمل، وما يعتزم القيام به رئيس الحكومة الفلسطينية إسماعيل هنية من ترك منصبه إلا إنقاذاً وتقديراً للمعاناة والمأساة اليومية التي يعيشها الفلسطينيون جراء الحصار.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الخامس

بواعث النهضة العربية

العلم، الدين، السياسة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بواعث النهضة العربية

العلم، الدين، السياسة

أخذ الحديث عن تلازمية العروبة والإسلام في الساحة الثقافية والفكرية العربية مجالاً واسعاً وانحصر النقاش الدائر في اتجاهين اثنين الأول: يرى أن العرب أمة بالمعنى الحديث للكلمة تكونت قبل الإسلام وعبرت عن نفسها في الادب والشعر العربي الجاهلي ومن خلال الظروف الخاصة في الحياه في الجزيرة العربية ولم يكن الإسلام نفسه ألا أحد تظاهرات روح هذه الأمة العربية وامتداد لها[١]، ويؤكد هذا الاتجاه بان القرآن نفسه نزل باللغة العربية وأن العرب هم الذين استوعبوا الخطاب الديني في النص القرآني وعملوا على نشر الإسلام وتعميمه على سائر الجزيرة العربية وما حولها.

أما الاتجاه الثاني فيرى أن العرب لم يكونوا قبل الإسلام سوى قبائل من البدو الرحل المتناحرة وإن الإسلام جعل منهم أمة ذات رسالة وحضارة قادرة على التوسع والتمدد إلى فضاءات خارج الجزيرة العربية وأن الدين الإسلامي مثل الملجأ الأخير للغة والثقافة العربية وحفظهما من الضياع والنسيان[٢] وإن الإسلام هو المكون الأساسي للفكر العربي.

ويرى الباحث أن الاتجاه الثاني هو الأقرب للصواب لسببين الأول إن الأمة العربية لم تشهد قيام دولة وتوفر كيان سياسي موحد إلا في عصر الإسلام، والسبب الثاني هو أننا عندما نطرح أسئلة النهوض واليقظة فإننا لا نعني بها تلك الجماعات التي عاشت في حدود ضيقة وفي مناطق نائية عن التأثير الحضاري في التاريخ الإنساني (ونقصد العرب قبل الإسلام) إنما تتحدث عن حضارة ذات دور مؤثر وفاعل في مجريات التاريخ وذات إسهامات عظيمة في التاريخ الإنساني وهي الحضارة الإسلامية.

ولذلك فإن من الأولى أن يتم الحديث عن العقل الإسلامي أو الفكر الإسلامي لأن الإسلام كان قد صبغ العقلية العربية بصباغه كما أن الإسلام كدين كان المحدد الأساسي لسلوك الفرد العربي في قيمه ونظمه واتجاهاته الفكرية، وبما أن الإسلام هو الذي ارتقى بالعرب وخلق لهم دولة تفرض

---

(١) غليون، برهان، المحنة العربية، مرجع سابق، ص ٦٠.

(٢) المرجع السابق، ص٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قيمها وأفكارها وحتى حدودها على باقي الكرة الأرضية فيما يعرف بالسلام الإسلامي Pax Islamic، فإن الإسلام نفسه مثل منحنا طبيعيا لنشوء وارتقاء الأمم والحضارات وسقوطها، وبالتالي فإن الفكر الإسلامي الذي وفر الأرضية الملائمة للازدهار والتقدم هو نفسه الفكر الذي ذوى على عودة ولم يمتد به العمر وتعرض للافلاس ومن ثم السقوط، ومن هنا فإن استخدام الباحث لمصطلح الحضارة العربية الإسلامية لا يعني أنهما شيئين منفصلين، وإنما يقصد بها الطابع الإسلامي الذي غلب على العربية كقومية وكفكر وصهرها في بوتقته دون أن يتخلى عن اللغة العربية كوعاء وحاضن وأداة للفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية[1].

المبحث الأول:

إسهامات العلم العربي الإسلامي في التاريخ الإنساني:

يعاني العقل أو الفكر الإسلامي اليوم من إشكالية كبرى مستعصي تتخذ مظهرين الأول: يتعلق بعدم قدرتنا على تحديد واضح أو تعريف دقيق للإسلام والثاني: عدم إدراكنا وإلمامنا لتاريخ الفكر الإسلامي.

لكن قبل ذلك لا بد من التعريج على الدور الذي لعبه الفكر الإسلامي في الحضارة الإنسانية لمعرفة موقع الفكر الإسلامي في خارطة الثقافات والحضارات الإنسانية،

في القرن الثاني عشر أقام الحاكم المسيحي (الفونسو السابع) ملك قشتاله مركزاً لدارسة الثقافة والعلم الإسلاميين في طليطلة Toledo وكذلك فعل الدارسون المسيحيون في كل من برشلونة Barcelona وطرسونه Tarazona وشقوبية Segovia وبمبلونه Pamplona وليون Leon في الشمال والشمال الشرقي الاسبانين فقد شرعوا في ترجمة الكتابات العلمية التي خلفها العرب وراءهم على الأرفف ،وخلال اقل قليلاً من جيل ترجم لب العلم الإسلامي إلى اللاتينية اللغة المشتركة للغرب المتعلم بمساعدة اليهود الاسبان الذين كانو يتقنون لغة الاسلام وعلومه في الاغلب، وخلال مائة عام كان الغرب من الناحية الجوهرية قد استوعب المعرفة العلمية للإسلام، وخلال أقل من مائة عام أخرى أثناء القرن الرابع عشر كان الغرب قد تجاوز الإسلام بصورة حاسمة في

[1] http://www.islamonline.org.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سيادته الفكرية للطبيعة مندفعاً إلى الأمام إلى أسرار العلم بينما يشكل الميراث الإسلامي الأساس الوطيد[١].

كان العلم الإسلامي يمثل في حقيقة الأمر خلاصة معرفة كل الثقافات السابقة تقريباً شرقية كانت أم غربية، فالإسلام واحد من أشد الظواهر ادهاشاً في التاريخ الثقافي، ففي ما بين القرن السابع ومنتصف القرن الثامن صعدت القبائل البدوية لشبة الجزيرة العربية لتتولي دور السادة على معظم ما كان يمثل العالم القديم وخلال وقت قصير رفعوا أنفسهم من مستوى البدو إلى مستوى الورثة اللامعين للثقافات القديمة.

لكن العنصر الأكثر حيوية في تطور العالم الإسلامي كان هو الطابع (الكوزموبوليتاني) الكوني للثقافة التي خلفها العرب ،فالحضارة الإسلامية بامتدادها في اتساع العالم القديم من نهر النهانج Ganges إلى المحيط الأطلنطي وحدت داخل مجالها التقاليد الثقافية للهند وبلاد فارس وما بين النهرين ومصر وأجزاء كبيرة من بيزنطة ومن الميراث الإغريقي الروماني، وأثبت العرب والمسلمون أنهم أساتذة في نسج كل هذه الخيوط المختلفة في نسيج ثقافي جديد، وضمن هذا القوس الهائل كانت المورثات العلمية لكل الحضارات القديمة تقريباً تندمج في عالم الإسلام وساعدت طرق التجارة على تدفق الأفكار والمعرفة، وكان في استطاعة أي شخص مسلم أن يدرس من مدونات محفوظة في موطنه ذاته علوم فلك الهند وبابل ومصر ورياضيات العصر الهليني وذخيرة علم النبات وعلم الأدوية وعلم الحيوان وعلم الجيولوجيا وعلم الجغرافيا التي راكمها العلم القديم ككل[٢].

كان العلم العربي الإسلامي من القرن الثامن حتى آخر القرن الرابع عشر ربما كان أرقى علم في العالم متفوقا بذلك على العلم في الغرب والصين وكان العلماء العرب في كل حقل تقريباً في الفلك والسيمياء والرياضيات والطب والبصريات وما إليها في طليعة التقدم العلمي وكانت الحقائق والنظريات والتصورات العلمية التي تضمنها رسائلهم العلمية أرقى ما يمكن الحصول عليه في أي مكان في العالم بما في ذلك الصين وذلك لسببين الأول هو أن العرب المسلمون أتيح لهم الاطلاع

---

(١) Goldstein, Thomas, Dawn of Modern Science, Da Capo Press, New York, 1995, p p98-100.

(٢) Huff, Toby, The rise of early modern Science Islam, china, and the west, Cambridge University Press, 1993, pp45-48.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التام على التراث العلمي اليوناني منذ القرن الثامن فصاعداً بينما كان هذا التـراث مجهـولاً لـدى الغرب طيلة القرون الفاصلة بين انهيار الامبراطورية الرومانية في القرن الخامس وحركة الترجمة الكبرى في القرنين الثاني عشر والثالث عشر.

والسبب الثاني أن الصين طوروا علومهم بمهارات مستقلة عن العالم، والحقيقة المهمـة أن الصينيين لم يعرفوا شيئاً تقريباً عن أرسطو أو أقليدس أو بطليموس أو جـالينوس بينمـا أصـبحت أعمال هؤلاء خاصة بأشكالها العربية المعدلة والموسعة منطلقات رئيسية في تطور العلـم الغربـي الحديث.

وعند النظر إلى العلم الغربي الإسلامي بمجموعة فـي الرياضـيات والفلـك والبـصريات والفيزياء والطب فإنه يعتبر أرقى علم في العالم، لكنه فقد القيادة في حقول مختلفـة وفـي أوقـات متفاوتة ويمكن القول أن نماذجة الفلكية كانت أرقى النماذج في العالم حتى ظهور الثورة الكوبرنيكية في القرن السادس عشر[1].

ولذا فإن السؤال_ لماذا لم يؤدي العلم العربي الإسلامي إلى نشوء العلم الحديث ما دام هـذا العلم ظل يتمتع بالتفوق الفني والعلمي لما يزيد على خمسة قرون؟؟؟.

اختلفت الآراء حول هذا الموضوع وتتراوح العوامل التي قيل أنها مسؤولية عن إخفاق العلم العربي الإسلامي في إنجاب العلم الحديث ما بين العوامل العرقية وسيطرة الاتجاه الـديني التقليـدي والطغيان السياسي وأمور تتعلق بالوضع النفسي العام وبين عوامل اقتـصادية وإخفـاق الفلاسـفة الطبيعيين في تطوير المنهج التجريبي واستعماله.

ومن المهم أن نذكر أن العلوم التي ندعوها اليوم العلوم الطبيعية كانت تدعى عند المـسلمين العلوم الأجنبية أما العلوم الإسلامية فهي تلك المخصصة للقرآن والحديث والفقة وعلم الكلام والشعر واللغة العربية ،لكن الحساب كان موضوعاً مهماً للدراسة من أجل قسمة التركات كذلك وجد مؤقتوا الفرائض والشعائر الدينية أن من الضروري استعمال الهندسة وعلم المثلثات لتعين قبلـه الـصلاة، ويرى البعض أن التأثير السلبي الذي مارسته القوى الدينية في التقدم العلمي فـي القـرنين الثـاني والثالث عشر كان بسبب نشوء الصوفية باعتبارها حركة اجتماعية وهذا أدى بدوره إلـى التعـصب

---

[1] huff, Ibid, p98.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الديني تجاه العلوم الطبيعية بشكل خاص وإلى حلول العلوم الغيبية محل دراسة العلوم اليونانية العقلية[١].

وسيقوم الباحث لاحقاً بتسليط ضوء أكبر على هذه العوامل لكن لا بد الآن من التعريج قليلاً على نشأة العلم عند الإغريق لعله يبين لنا بعض الاشكالات التي أثرناها حول العلم العربي الإسلامي.

المبحث الثاني:

العلم الإغريقي:

يعتبر العقل الإغريقي أول عقل يستبدل رؤية أسطورية أو دينية للكون بتفسيرات عقلانية وبذلك يكون أول عقل يوسع مجال العلم ليشمل أبعاد الكون وبهذا المعنى تكون الفكرة الشعبية القائلة بأن العلم بدأ مع الإغريق مبرره فحتى لو كانت البدايات المحترمة رغم أنها متفرقة قد سبقت الإغريق بنحو ثلاثة آلاف عام، فلنا أن تعتبر أن العلم الإغريقي أول محاولة منهجية وشاملة لتفسير مجمل الكون الطبيعي. [٢]

ويمكن تفسير تميز الإغريق بتطوير الفكر الموضوعي وحتى الحرية الشخصية والفردية بعدة أسباب أهمها:

١- بسبب طبيعة المدن السياسية والجمعية العامة حيث كانوا يلتقون ويتناقشون ويحاول كل طرف أن يقنع الطرف الآخر بحجة عقلانية.

٢- لأن المدن كانت تسمح بأن ينتقل الفيلسوف أو المفكر من مدينة لأخرى إذا ما تعرض للاضطهاد والتضييق ونعرف أن تلاميذة سقراط الحو عليه أن يترك أثينا إلى مكان آخر بدلاً من أن يطبقوا عليه حكم الإعدام، وطبيعي أنه كان سيلقى ترحيباً في مكان آخر ومن ثم يكف أبناء مدينة عن مطاردته.

---

(١) huff, Ibid, pp52-56.

(٢) Goldstein, Thomas, Dawn of Modern Science, Da Capo Press, New York, 1995, p p44-46.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- لأن الإغريق كانوا يتمتعون بموقع بحري الأمر الذي مكنهم من العمل بالتجارة (عمل مريح) وذا مكسب مكنهم من تعليم أبناءهم لا لسبب أن العلم طريق للسلطة والثروة كما هو في الصين بل من باب الفضول المعرفي، أضف إلى ذلك أن موقعهم البحري مكنهم من الالتقاء بعدد كبير من التجار الذين يأتون من مختلف الأجناس والديانات والثقافات.

٤- لأن الإغريق عايشوا تناقضاً واضحاً بين آراء (الغرباء) التجار وبين آراء المواطنين المحليين عبروا عنه بالنقاش والجدال في الجمعية العامة والساحات العامة وثمة نتيجة واضحة للممارسات والأفكار والمعتقدات المختلفة التي تحوم دون هوادة حول الإغريق ألا وهي ضرورة أن يتعاملوا مع المتناقضات، اعتادوا دائماً مواجهة مواقف حيث يرون شخصاً يؤكد أن (أ) هي الحجة بينما ينزع آخر إلى القول أنه ليس (أ) هي الحجة وطبيعي أن يؤدي هذا بالضرورة إلى تطور إجراءات معرفية للتعامل مع مظاهر وأسباب التنافر.[١]

وقد واصل العلم الإغريقي ازدهاره مع صورة الكون الإغريقية طوال نمو الحياة الثقافية الإغريقية لكن حين بدأت الثقافة الإغريقية في الذبول عند جذورها أولاً نتيجة النزاعات القاتلة بين المدن _الدول وفي النهاية من خلال غزو جار قاهر هو (فيليب المقدوني وابنه الأسكندر الأكبر) فر ض التدفق العريض من الأحداث الإنسانية نفسه من جديد مكتسحاً بتباراته السريعة النبته الغضة التي كانت قد ازدهرت إلى دراما إغريقية وفلسفة وعمارة وفن إغريقيين، والتفكير العلمي مثله مثل كل إبداعية ثقافية بارزة يبدو أنه لا يزدهر سوى في تربة خصبة بوجه خاص.

إلا أن النهاية لم تحل بمباغتة فظة، فقد تمكنت تقاليد علمية تستلهم الفكر الإغريقي من الحفاظ على نفسها في وجه تقلبات القرون التالية وواصلت الحياة في الثقافتين البيزنطية والإسلامية، وقبل وقت قصير من بدء العقل الإغريقي في الترنح تحت وطأة ضربات النوائب التاريخية كان قد بلغ أسمى رؤاه وشهد القرنان السابقان على نهاية الاستقلال الإغريقي ذروة اكتمال الثقافة الإغريقية (العصر الذهبي) حيث فرخت عبقرية بلاد الإغريق رؤية كونية وجدت ألمع تعبير علمي عنها في فلسفة فيثاغورس pythagoras وأعمق تعبير ميتافيزيقي عنها في فلسفة أفلاطون، وإذا كانت استبصارات أفلاطون من القوة والعمق بحيث أن كل الفلسفة الغربية اللاحقة كما قال ألفريد نورث

---

(١) NisBett, Richard, The Geography of thought, free press, New York,2003, pp31-32.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وايتهد (Alfred North whitehad) تتكون من سلسلة من الهوامش على أفلاطون فإن بإمكاننا أن نضيف أن كل المفاهيم التالية للكون الطبيعي كانت تحسينات أو تعديلات على استبصار فيثاغورس الأصلي. (١)

كان ذلك إيجازاً مبسطاً حول العلم الإغريقي وحتى نستطيع استكمال مشوارنا في تسليط الضوء على إشكالات العلم العربي الإسلامي لا بد أيضاً من التركيز قليلاً على نشأة العلم الغربي ابتداء من موقع هذا العلم في الديانة المسيحية.

المبحث الثالث:

نشأة العلم الغربي الحديث

في القرن الخامس الميلادي كتب القديس أوغسطين(٣٥٤_٤٣٠م) قائلاً: "ليس من الضروري أن نتقصى في طبيعة الأشياء كما فعل من يدعوهم الإغريق باسم Physici الطبيعيين كما يجب أن لا ننزعج خشية ان يكون المسيحي جاهلاً بقوة وعدد العناصر حركة ونظام وكسوفات الإجرام السماوية وشكل السماوات وأنواع وطبيعة الحيوانات والنباتات والصخور والينابيع والأنهار والجبال وجاهلاً بعلم الزمن والمسافات بعلامات العواصف القادمة وبألف شيء آخر ،اما اكتشفها هؤلاء الفلاسفة وإما يعتقدون أنهم اكتشفوها، يكفي المسيحي أن يؤمن بأن السبب الأوحد لكل الأشياء المخلوقة سماوية كانت أم أرضية هو طبيعة الخالق الإله الواحد الحق".

هكذا بجرة قلم واحده قوية حظر القديس العظيم سجلاً يكاد يكونا كاملاً من العلوم القديمة الفيزياء والفلك وعلم الحيوان وعلم النبات والتاريخ والجغرافيا والارصاد الجويه وأخبر معاصرية أن يرفعوا أبصارهم إلى السماء وأن ينسوا بأوضح ما يكون أشياء هذه الأرض ،كان عليهم أن يتأملوا الدوائر السماوية محل دراسة الطبيعة. (٢)

كانت الكنيسة تمثل بالنسبة للإنسان الغربي كل شيء، وتفرض عليه كل شيء، فقد ادعت لنفسها صفة السلطة العامة المستقلة، وقالت إنها ذات نظام هرمي ولرئيسها حق التشريع، وطبقت الكنيسة أيضاً قوانينها من خلال نظام إداري هرمي التنظيم حكم فيه البابا كما يحكم حاكم الدولة

---

(١) Goldstein, Thomas, Op, cit , p p 46-50

(٢) Goldstein, Thomas, Op, cit , p p 54-56

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحديثة من خلال ممثليه كذلك فسرت الكنيسة قوانينها بنفسها وطبقتها من خلال نظام قضائي هرمي الشكل تقع على قمته إدارة الكنيسة في روما.

وكانت السلطات الكنسية تغمر بظلالها القاتمة كل عقل تنويري متبرعم في طول أوروبا وعرضها، كما كانت تعترض طريق التقدم العلمي الجاد أن لم يكن كل تفكير عقلي جاد.

يجري الاعتقاد على نطاق واسع بأن الكنيسة كانت تقمع كل الجهود العلمية التي تسعى لتحرير الفكر وفتح العقليات المغلقة وإيجاد تصور للكون يستند على أساس علمي ولا يكتفي بالرؤية الدينية للكتاب المقدس.

لكن الباحث يرى أن هذا الاعتقاد مفرط بالمبالغة والتبسيط، فلما كانت الكنيسة في العصور الوسطى تمارس احتكاراً يكاد يكون تاماً على الحياة الفردية فإن أي حركة أو اتجاه فكري جديد ومهم كان يجب أن ينبع من أحد أقسام كنيسة رومانية كاثولكية.

من هنا كان الدور الكبير الذي لعبته واحدة من أكثر الاسقفيات ومجالس الكاتدرئيات احتراماً في فرنسا في العصر الوسيط وهي كاتدرائية شارترchartres ومدينتها التي كانت ترعاها الكنيسة، وكان المعلمون أعضاء في سلك الكهنة يرتدون العباءة والمسوح، فماذا كان يجري غرسه في مدرسة شارتر في القرن الثاني عشر؟؟. [1]خلال خمسة عشر أو عشرين عاماً حوالي منتصف القرن الثاني عشر كان مجموعة من الرجال يجاهدون عن وعي لإطلاق عجلة تطور العلم الغربي، اتخذوا الخطوة الحاسمة في صياغة فلسفة طبيعية أي وضع المقدمات الفلسفية الأساسية التي يمكن عندها للعلم الغربي أن يتطور ويتفرغ داخلها حيث وضعت مدرسة شارتر الأساس الفلسفي لصعود العلم وتأسست دراسة الطبيعة كتخصص قائم بذاته لا تعوقه القيود المذهبية الأقدم، وفيها غرست بذور نبتة العلم الغربي حتى أقصى نموها وحتى كل فروع التخصصات الحديثة.

في شارتر جرى لأول مرة منح دراسة العلم أولوية حاسمة، وجمعت بشكل منهجي كتابات العلماء الأقدميين "بما فيها كتابات المسلمين" لتشكل اول مكتبة للعلم في العالم الغربي، كان رواد شارتر يرون أنه يجب أن يتأسس العلم كمجال مشروع للدراسة المنهجية في العالم الغربي وكان

---

(1) Goldstein, Thomas, Ibid , p p 66-67

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يجب تطوير أسس المنهج العلمي وكان لا بد من البدء في وضع كل الفكر العلمي الجديد على الأسس الصلبة للعلم القديم.

ومن هنا كان سخط المحافظين الدينيين الذي جلبة رواد شارتر على أنفسهم راجعاً إلى أسباب مفهومة، فطوال سبعمائة عام بأكملها منذ سقوط روما في القرن الخامس جرى تقديم الطبيعة على أنها موضوع سلبي لخلق الربط خالية من أي قوى فطرية كي تخلق لنفسها، فيما يؤكد أساتذة شارتر أن الطبيعة موضوع جدير تماماً بالعقل الإنساني، بمعنى أنهم كانوا يتحدون سبعة قرون من التعاليم المسيحية حول مكانة الطبيعة في مخطط الرب، وبدأ الأمر وكأن حجاباً كانت الطبيعة تتمدد تحته نائمة طوال سبعماية عام قد تمزق فجأة. (١)

لم تكن روح العلم الحديث هي التي تتمرد ضد الإيمان بل كان التزمت المرتعب للاهوتيين الحافظين الملتزمين برية أشد محدودية للرب والعالم هو الذي أجبر العلم على موقف الدفاع ،فلم يكن عالم هؤلاء التقليديين واسعاً بما يكفي لكي يشمل كلا من العلم والاله الرحيم، كان اللاهوتين المحافظين من باريس يلاحقون أساتذة شارتر مستدعينهم للمثول أمام المحاكم وشاجبين عملهم باعتباره هرطقة وملصقين بمعلمي العلم وصمة التمرد، ومن تلك اللحظة بدأ النزاع.

إن إغراء البحث العلمي سرعان ما أوقع العلماء في صر اع مع أصحاب المصالح من رجال الدين التقليديين وجرت جهود لتكفير بعض الأفكار والافتراضات، التي بدا أنها تضع حدوداً على القدرة الإلهية واتخذ ذلك في أشهر أشكاله تكفير أسقف باريس ٢١٩ فكرة سنة ١٢٧٧ لكن هذا التكفير لم يضع حداً للبحث الفلسفي بل دفع الفلاسفة لتجربة عدد كبير من الأفكار.

في العام ١١٤١ عين تييري الشارتري Thierry عميداً لمدرسة شارتر وقد قام بعمل هام وهو إعادة تفسيرسفر التكوين Genesis ورأى أنه قصه رمزية تنطوي على المفهوم الإيجابي للخلق الطبيعي باعتباره تطوراً لم يختتم، بل ما زال يجري بقوة، وفي محاضراته التي ألقاها عن الإصحاحات الأولى لسفر التكوين أعاد تفسير الخلق فقط على أساس الأسباب الطبيعية ورأى أن قصة الخلق في الإنجيل تتماشى مع المقاربة العلمية. (٢)

---

(١) Goldstein, Thomas, Ibid , p p 68-69

(٢) Goldstein, Thomas, Ibid , p p 70-71

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهكذا اكتشفت شارتر أو بشكل أدق أعادت اكتشاف المفهوم الذي تخلل العلم الغربي منذ ذلك الحين، القائل بأن الطبيعة قابلة للفهم بالنسبة إلى العقل الإنساني بالضبط لأن كليهما يمضان طبقاً للقوانين العقلانية الكامنة نفسها.

"من خلال العقل نكون بشراً" هكذا قال عالم طبيعي آخر من القرن الثاني عشر درس في شارتر هو اديلارد الباثي Adelard of bath في عبارة ملهمة "لأننا لو أردنا ظهرنا للجمال العقلاني المدهش للكون الذي نحيا فيه لا ستحققنا بالفعل أن نطرد منه، مثل ضيف لا يقدر المنزل الذي استقبل فيه والطبيعة جميلة في مجملها لأنهامثل الموسيقى تتطور داخل المنظومات المتناغمة لقوانينها العقلانية الفطرية ومهمتنا هي التقاط ذلك الجمال معبرين عن أمتناننا لكرم الضيافة التي استقبلنا بها الرب الرحيم فيم منزلة بأن نطبق قوى العقل المفكر"[1].

كان ذلك هو الدور الذي لعبته مدرسة شارتر في تأسيس العلم الغربي بوصفها مدرسة دينيه انبثقت عن مؤسسة الكنيسة التي من المفترض ان لقف عائقا امام العلم وتطوره.

المبحث الرابع:

توقف العلم العربي الإسلامي:

ولنعد إلى سؤالنا حول إخفاق العلم العربي الإسلامي ولماذا لم يواصل الاستمرار ويؤدي إلى العلم الحديث؟؟؟.

اشار الباحث الى أنه كانت هناك عدة أسباب وعوامل كانت السبب وراء هذا الإخفاق لكن الباحث يرى أن أهم عاملين هما الأول **الطغيان أو الاستبداد السياسي** والثاني هو **سيطرة الاتجاه الديني التقليدي** ،وقد يبدو هذين العاملين متداخلين نظراً لأن الاتجاه الديني التقليدي فرضته في بعض الأحيان السلطة السياسية.

الطغيان والاستبداد السياسي:

---

[1] Goldstein, Thomas, Ibid, p70.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يعتبر القرن الثالث والقرن الرابع للهجرة العصر الذهبي للحضارة العربيه الاسلاميةعلى الأقل من الناحية الفكرية، وكانت خلافة المأمون تمثل الذروة فقد ازدهرت فيها العلوم والفلسفات والفكر العقلاني إلى جانب العلوم التقليدية والدينية واتسع عقل المأمون وأفقه ليقبل التراث اليوناني باكمله علماً وفلسفة، وأمر بترجمته، لكن هذا الخليفة المستنير اغرته السلطة ووقع أسير الاستبداد السياسي حينما فرض رأيه القائل بخلق القرآن (الذي مثل رأي المعتزلة فيما بعد) على الأمام احمد بن حنبل الذي عذب وسجن لمخالفته رأي الخليفة وإصراره على أن القرآن غير مخلوق وسرمدي لأنه كلام الله، وسواء أكان رأي الأمام ابن حنبل على صواب أو رأي المأمون، فإن رأي السلطان والسلطة السياسية هو الذي يجب أن يتبع دونما النظر إلى قوة الحجة وثبات البرهان[١].

إن المناقشة التي افتتحت في القرن الثامن حول مسألة خلق القرآن واستمرت حتى القرن الحادي عشر أغلقت بعدئذ بشكل تعسفي واعتباطي من قبل السلطة المدنية والسياسية في القرن الحادي عشر وقد تم في ذلك في عهد الخليفة (القادر) الذي نشر عقيدته القادرية في جوامع بغداد مع خطبة الجمعة بعد أن كانت قد قرئت علنيا في القصر عام ١٠٢٩ ، وبالطبع كان الخليفة القادر على عكس المأمون يؤمن بان القرآن غير مخلوق.

وهكذا نرى أن نفس القضية (خلق القرآن) تعرضت لموقفين متناقضين من قبل السلطة السياسية وفي كل مرة كان رأي السلطان هو سلطان الآراء .

لقد مارست الدولة الأموية عملية مصادرة الإسلام لصالحها باعتباره ذروة المشروعية وشكلت إيدلوجيا كاملة للتبرير أو للتسويغ من أجل خلع تلك المشروعية على نفسها، وقد ساهم في تشكيل هذه الإيدلوجيا معظم المؤرخين والفقهاء والمتكلمين الذين أرادوا أن يحظوا برضى السلطة الجديدة أما الآخرون الذين رفضوا القيام بهذا الدور فقد استبعدوا أو نبذوا أو اسكتوا بشكل او بآخر، وكان المذهب المنتصر في فترة ما أو بيئة ما يفرض نفسه بصفته المذهب الإسلامي الصحيح والوحيد وما عداه هرطقة وانحراف وعن طريق القوة المسلحة كان الناس يخضعون ويطعيون، ثم مع مرور الزمن والقرون يترسيخ المذهب وكأنه يمثل فعلاً كل الإسلام[٢].

---

(١) htpp://www.ibn-rushd.org/arab.

(٢) http://www.balagh.com.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي القرن الثاني عشر أيضاً تعرض مفكرين عظام مثل ابن باجة وابن رشد وموسى بن ميمون للاضطهاد، أحياناً من قبل أهل بلدهما_ ابن رشد من قبل بني دينه وابن ميمون من قبل بعض المسلمين المتعصبين_ الذين كانوا يحثونه على اعتناق الإسلام مما حداه إلى الهجرة من أسبانيا إلى القاهرة حيث مارس مهنته كطبيباً وكتب كتبه، واما ابن باجه فقد مات مسموماً في مقتبل عمره ربما على أيدي بني دينه الغيارى، وأما ابن رشد فعلى الرغم من مكانته بصفته قاضيا فإنه تفي أواخر حياته وأحرقت كتبة وأضطر للهجرة إلى مراكش سنة ١١٩٥ حيث مات في سنة ١١٩٨ ،ومن المفارقات ان الغرب هو الذي أخذ كتاباته ولاسيما شروحه على أعمال أرسطوا بمنتهى الجدية[١]

وفي العصر الحديث تعرض الكاتب المصري طه حسين إلى هجوم عنيف عندما نشر أطروحته الشهيرة عن (الشعر الجاهلي) ١٩٢٩ التي قال فيها أن القرآن لا يمكن اعتباره وثيقة مثل باقي الوثائق التاريخية وكان طه حسين يتحدث كباحث فليلوجي تاريخي في مواجهة علماء الدين التقليديين الذين يجهلون كل شيء عن المنهجية الفللوجية المطبقة على النصوص المقدسة،وكذلك الأمر فقد تعرض نصر حامد أبو زيد لملاحقة المحاكم في القاهرة لنشره دراسة متواضعة عن القراءة الألسنية للقرآن.

سيطرة الاتجاه الديني التقليدي:

نستطيع القول أن اللحظات الحاسمة في تطور الفكر العربي الإسلامي لم يحددها العلم وانما كانت تحددها السياسة فقد خلت الحضارة العربية الإسلامية مما يشبه تلك الملاحقات والمحاكمات التي تعرض لها العلماء علماء الفلك و الطبيعات في اليونان القديمة كما في أوروبا الحديثة بسبب آرائهم العلمية كتلك التي تعرض لها يوهانس كبلر (١٥٧١-١٦٣٠) حيث منعت مؤلفاته من قبل لاهوتي عصره بسبب اعتقاده بدوران الأرض حول الشمس وكذلك ما تعرض له غاليليو (١٥٦٤-١٦٤٢) بسبب إصراره على القول بدوران الأرض فقد أرغمه ديوان التفتيش التابع للكنيسة على أن يوقع على وثيقة يقسم فيها بأن يمتنع عن القول بتلك النظرية فاضطر للتوقيع انقاذاً لحياته وعندما أنهى التوقيع ضرب الأرض برجله وقال قولته المشهورة (ومع ذلك فهي تدور) ومع أن هذه الأفكار

---

(١) Huff, Toby, The rise of early modern Science Islam, china, and the west, Cambridge University Press, 1993, pp212.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كانت شائعة في العصر الإسلامي فإنها لم تلاقي ردود فعل لا من قبل الفقهاء ولا من قبل الحكام والسبب في ذلك أن هذه الأفكار كانت تقع على هامش الصراع فلم يكن الصراع في الثقافة العربية الإسلامية من أجل هدم تصور للكون وبناء آخر كما كان في أوروبا بين العلماء والكنيسة بل كان صراعاً أيدلوجياً سياسياً[١] .

ليس ذلك فقط بل كانت هناك عقبات نفسية قوية أمام دراسة العلوم الأجنبية وطلبها، وجاءت أوقات منعت فيها منعاً باتاً وحدثت حالات من حرق الكتب، ولم تقتصر حظر دراسة المنطق وتدريسه هو والعلوم الأجنبية (الطبيعية) على الخلافة الشرقية بل شمل أفريقيا الشمالية والأندلس وقد حرص المنصور الحاكم الموحدي لأفريقيا الشمالية الأندلس (الذي حكم ما بين ١١٨٤-١١٩٩)، على أن يضع حداً للكتب المنطقية والفلسفية في البلاد الخاضعة له وأمر بحرق الكتب المتعلقة بهذه المواضيع ومنع دراستها سواء في السر أو العلن وهدد بقتل كل من ثبت أنه يدرسها.

وفي حالات محدودة فقط كان يمكن للأساتذة الذين أتقنوا جوانب كثيرة من العلوم الإسلامية والعلوم الأجنبية أن يدرسوا العلوم الأجنبية سراً بحجة أنهم يدرسون الحديث وهكذا فإن الباحث صدر الدين بن الوكيل توفى ١٣١٦ قيل أنه درّس الطب والفلسفة والكلام وحقولاً أخرى من المعرفة المنتميه لعلوم الأولين تحت قناع الحديث.

وبسبب المكانة الفريدة التي يحتلها القرآن والحديث في الإسلام حيث الشريعة الإسلامية تشكلت منها وأرست قواعد السلوك لدى كل المسلمين وإلى الأبد، فقد كان الفقهاء يهيمنون من الناحية الفكرية في الإسلام في العصر الوسيط ولاسيما في القرين الثاني عشر والثالث عشر. وقد لعب المتكلمون في أحسن الأحوال دوراً ثانوياً، وكثيراً ما تعرض هذا الدور للهجوم من قبل أهل الحديث أو أهل السنة كما حدث في القرن الثالث عشر عندما هاجم ابن قدامة علم الكلام بقوله" [٢]ما من أحد درس علم الكلام إلا أصيب بفساد عقله" ومهما بلغت عقوبة الخائض في علم الكلام فإنها لن تكفي ولذا فإن ابن قدامة يستشهد بقول منسوب للشافعي بقول فيه "حكمي على أشياع الكلام أن يضربوا بعراجين النخل وأن يعرضوا على القبائل وأن يعلن على الملأ أن هذه هي عقوبة من ترك الكتاب والسنة واتبع الكلام" وهذا الرأي يعني أن الشريعة وليس اللاهوت أو علم الكلام هو رأس

---

(١) الجابري، محمد عابد، تكوين العقل العربي، مرجع سابق، ص٣٤٥.

(٢) Huff,Toby, Op, cit , p p 149

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العلوم وأن الكلام لا ينتج عنه الا الفساد ، وقد وصفت هذه العلوم بانها "العلوم الملعونة" "والحكمة المشوبه بالالحاد" بينما قيل أن دراسة المنطق محرمة من "تمنطق فقد تزندق" وبسبب هذا العداء الواسع للعلوم العقلية كان يسيراً لنا أن نفهم لماذا أخفى الحريصون على سمعتهم دراساتهم الفلسفية وتابعوها تحت اسم آخر له مكانة أفضل. (١)

ومن المفارقات أن العرب المسلمين هم الذين طوروا صناعة الورق وقد تعلموها أول ما تعلموها من الصين في القرن الثامن في سمرقند، وما أن حل منتصف ذلك القرن حتى كان للدولة في بغداد مصنع للورق وأصبح استعمال الورق مع حلول منتصف لقرن العاشر من الانتشار بحيث اختفت صناعة البردي وانعدم استخدامه للكتابة.

أما في أوروبا فيبدو أن إنتاج الورق قد تم حوالي(سنة ١١٥٠ م)على يد المسلمين في اسبانيا ويبدو أن العرب المسلمين طوروا الورق واستخدموه للأغراض العلمية قبل الأوروبيين بمئات السنين، ويرى البعض أن المسلمين بابتكارهم لطرق إنتاج الورق بكميات ضخمة حققوا إنجازاً بالغ الأهمية لا لتاريخ الكتاب الإسلامي فقط بل لعالم الكتب برمته.

ومع ذلك فعندما اخترعت الطباعة في أوروبا في القرن الخامس عشر رفضها المسلمون في البلاد الإسلامية كلها، وكان منع الطباعة ولا سيما طباعة المواد الدينية خشية من أن أثمان الكتب سترخص وتقع في أيد غير أمينة، وقد قيل آنذاك ان اسم الله الذي يظهر في كل صفحة من صفحات الكتب الاسلاميه يمكن ان يدنس بهذه الطريقة (أي بالطباعة).

لقد حرم المسلمون الطباعة بعد مرور ثلاثة عقود فقط على ظهور أول كتاب مطبوع وأول ترجمة ألمانية للكتاب المقدس في أوروبا فالسلطان التركي (بايزيد الثاني) الذي لم يكن أقرب الحكام المسلمين إلى أوروبا فقط بل أقواهم أيضاً, سرعان ما أدرك ماذا كان يحدث في أوروبا وخشي مما قد يحدثه هذا النشاط على رعاياه، مما حداه على إصدار حظر على امتلاك المواد المطبوعة سنة ١٤٨٥ وهو حظر تكرر سنة١٥١٥ على يد سليم الأول الذي لم يلبث أن أخضع كلاً من مصر وسوريا قلب البلاد الإسلامية إلى حكمه. (٢)

---

(١) Huff,Toby, Op, cit , p p 68- 70

(٢) Huff,Toby, Op, cit , p p 248- 250

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويرى الباحث أن الطغيان اوالاستبداد السياسي قد حرم العقل أو الفكر الإسلامي من مجادلات ومناظرات خصبه كانت مهمة لاثراء التحديث الفكري للعقلية الإسلامية، فالموقف الذي اتخذه المذهب السني في التاريخ الإسلامي بدعم من السلطة السياسية ضد المعتزلة والاسماعيلية وحتى الأشعرية أوقف أحد أهم المناقشات اللاهوتية واللغوية وأكثرها غنى وعمقاً. وليس المهم أن كان المعتزلة أو غيرهم على حق أو باطل لكن المهم هو ذلك الميدان الممتلئ بالحوار والنقاش والمحاججة وتلك المساحة الواسعة للتجديد العقلي والتفكير الحر التي طمرت بكل أشكال التسلط والاستبداد.

وما فعله الاستبداد السياسي في الفكر الإسلامي فعله أيضاً **الاتجاه التقليدي** فقد كان المسلمون قاب قوسين أو أدنى من اتخاذ الخطوة الأخيرة باتجاه الثورة العلمية الحديثة، كان ذلك في مجال الفلك ومن المعلوم أن الثورة العلمية الحديثة في أوروبا في القرنين السادس عشر والسابع عشر كانت تتركز بشكل عام على التطورات التي حدثت في علم الفلك والمدلولات الفلسفية لعمل كوبرنيكوس (١٤٧٣-١٥٤٣) فالتحديث الذي قام به كوبرنيكوس كان جذرياً.

فهو انتقل من النظام البطليمي (نسبة إلى بطليموس) القائم على مركزية الأرض إلى الوصف الفيزيائي للكون الذي قام على الأساس أن الشمس هي مركز الأجرام السماوية وكان هذا الانتقال بمثابة الفتح الجديد المؤدي إلى نشأة العلم الحديث.

ومن المتفق عليه بشكل عام أن التصور الكوبرنيكي الجديد للكون لم يقم على ملاحظات جديدة مذهلة، أو أساليب رياضية مبتكرة ، لم تكن معروفة لدى المسلمين، بل على العكس فإن مدرسة "مراغة" في غرب إيران وهي مدرسة ضمت علماء مثل الأردي (ت١٢٦٦)والطوسي (ت. ١٢٧٤) وقطب الدين الشيرازي (ت. ١٣١١) وابن الشاطر (ت.١٣٧٥) قد نجحت في وضع النماذج الفلكية غير البطليمية التي كررها واستخدمها كوبرنيكوس ،أضف إلى ذلك أن الشبه بين النماذج الفلكية التي وضعتها مدرسة مراغة (ووصلت أفضل صورها على يد ابن الشاطر) وبين نماذج كوبرنيكس بلغ من الشبه حداً دعا البعض إلى القول دون تجاوز الحقيقة (أن كوبرنيكوس هو أشهر اتباع مدرسة مراغة إن لم يكن آخرهم). [١]

---

(١) Huff,Toby, Op, cit , p p55- 64

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لكن للأسف لا ابن الشاطر ولا أتباعه وكانوا كثرا قاموا بالفقرة الكبيرة نحو التصور الجديد للعالم الذي يضع الشمس في المركز ويفتح الباب أمام الثورة العلمية، ومع أن النماذج التي وضعها ابن الشاطر وتلك التي وضعها كوبرنيكوس تكاد تكون متطابقة، غير أن القفزة النوعية كانت ستقضي انقطاعاً فكرياً عن علم الفلك الإسلامي التقليدي كما فهمه علماء الدين، وهو مالم يتحقق لكن كوبونيكس عندما وضع الشمس في المركز خالف مسلمات اللاهوت المسيحي فهذا اللاهوت يقول أن الأرض هي المركز وأن الكتاب المقدس هو الحجة النهائية القائلة بذلك.

وكان المسلمون قد وصلوا إلى حافة أعظم ثورة فكرية حدثت في التاريخ لكنهم رفضوا الانتقال من الكون المغلق إلى الكون اللانهائي رغم امتلاكهم لما يقرب من قرنين من الخبرة السابقة بالمشكلات والملاحظات التي أثارتها النماذج الفلكية. (١)

المبحث الخامس:

استخدام الدين:

ويبدو للباحث أن الدين الإسلامي الذي لعب دور المحرك والباعث للنهضة الفكرية (والعلمية على وجه التجديد) في العصر الإسلامي الزاهر_ أي في القرن الثامن وحتى القرن الثاني عشر تقريباً_ يبدوا أنه أخذ يلعب دوراً معاكساً ومثبطاً لا لطبيعة الدين بالطبع، بل بسبب الفهم الخاطئ للدين ولدور الدين وبسبب ما قام به الكثير من فقهاء المسلمين بتصوير الدين على أنه مجرد نصوص وطقوس وأداة للتبرير وملجأ وملاذاً للمستضعفين.

فتزايد اهتمام السلطة السياسية على مر التاريخ الإسلامي أكثر وأكثر بالدين الشعبوي، وإهملت المناظرات الفكرية العقائدية التي تميز بها العصر الذهبي للإسلام وأصبح العلماء "رجال الدين" المسؤولون عن تيسير أمور التقديس مجرد موظفين إن لم نقل خدماً لدى السلطة السياسية ،وتزايدت الزوايا الدينية أو الروابط الصوفية في كل الأمكنة تقريباً حتى دخل الإسلام في مرحلة التكرار الرتيب والهمود الطويل.

ويرى الباحث أن الدين أصبح اليوم في العالم الإسلامي عقيدة أيدولوجية تنظيرية غير واقعية لتفسير الواقع، في ظل الفشل الذريع لأنظمة الحكم في البلدان الإسلامية وإذا ما قمنا بمقارنة

---

(١) Huff,Toby, Op, cit , p p 57- 58

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سريعة بين ما يحدث اليوم في أوروبا وما يحدث في عالمنا الإسلامي فإننا نجد أن الدولة الحديثة في أوروبا "دولة الرفاهية" قد أصبحت الأساس الأول للمشروعية بسبب توفيرها لمواطنها كل أنواع الضمانات الصحية والاجتماعية والوظيفية والسكنية والتعليمية فماذا يريد المواطن أكثر من ذلك، وهكذا حرمت الدولة الحديثة الدين من كل الوظائف الأساسية التي كان يمارسها طيلة العصور السابقة، لقد انتزعت منه حتى الأمل الأخروي الذي كان يعزي به البشر أنفسهم، بسبب آلامهم وحرمانهم في هذه الحياة الدنيا فعندما، وفرت لهم الدولة كل ما يريدون على هذه الأرض لم يعودوا بحاجة إلى هذه العزاء كما وانتزعت الدولة الأوروبية الحديثة من الدين ذروة القيم الأخلاقية التي تؤمن الحافظة على التماسك الاجتماعي للشعب، وترسيخ الضمانات اللازمة لحياة المجتمع، وتكفل الصفقات مع المعاملات المعقودة بين البشر وتؤمن المشروعية، كل هذه الأشياء انتزعت من أيدي الدين وسلمت إلى أيدي الدولة وعنايتها وبالتالي فلم يعد للدين من وجود يذكر في الحياة العامة للمجتمع[١].

إما أنظمة الحكم في العالم الإسلامي فقد فشلت في توفير هذه الأشياء لمواطنيها ولهذا السبب فإن الحركات الإسلامية الأصولية قد شهدت نجاحاً سريعاً ومنقطع النظير واستطاعت أن تحتل الساحة الخالية بكل سهولة ويسر.

وهكذا استعاد الدين وظائفه بصفته ملجأ للبشر المسحوقين وملاذاً للمستضعفين وأصبح هو المرجعية الأساسية التي يستعصم بها الناس في أوقات الشدة والضعف وهو الوسيلة للتوصل إلى بعض الطمأنينة في عالم ساحق ماحق لا يرحم،فالدولة تخلت عن المواطن والمواطن لم يعد يعرف أين يذهب فألقى بنفسه في أحضان الحركات الأصولية ذلك لأن الحداثة والرفاهية التي وعدت بها أنظمة الحكم ونخب ما بعد الاستقلال لم تحقق بل أن هذه الأنظمة قد ولدت عدداً كبيراً من الخاسرين والهامشين والخائفين والمتمردين والمنبوذين والعاطلين عن العمل، وبالتالي فإن الحركات التي تستخدم وعود العدالة والأخوة والحماية الاجتماعية والكرامة والترقية الروحية والتطهير الأخلاقي هي وحدها التي تستطيع تهدئة قلق الجماهير، وهكذا تم اختزال الدين وأصبح التبرير

[١] أركون، محمد، ٢٠٠١، الإسلام، أوروبا الغرب، الطبعة الثانية، بيروت، دار الساقي، ص١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الوحيد لوجوده هو التخفيف من الآم البشر المسحوقين والبائسين الذين فرضوا عليهم آخرون مصير القمع والتعاسة الأخلاقية الفكرية والمادية[١].

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد أصبح العقل الغربي المعلمن مهيمناً على العالم بسبب نجاحاته التكنولوجية والاقتصادية السياسية الصارخة، لقد وصل من القوة والمنهجية إلى حد أنه نافس الدين بل وانتزع منه تلك الذروة العليا ذروة الهيبة والمشروعية، ومن المعلوم أنها كانت من اختصاص الدين لفترة طويلة من الزمن ،أصبح العقل العلمي هو الذي يحدد المشروعية وليس الدين، واصبح علماء الطب والبيولوجيا والقانون هم الذين يحددون السلوك الأخلاقي المستقيم، وليس رجال الدين وحشر العقل الغربي الدين في منطقة ضيقة وحدد له وظائف ثانوية بعد أن كان يتحكم بحياة البشرية الأوروبية في كل شاردة وواردة طيلة قرون وقرون ؟؟ وهنا يكمن لب الصراع الذي دار بين العقل المسيحي وعقل التنوير منذ القرن الثامن عشر.

فالرهان الأكبر كان من أجل السيطرة على ذروة المشروعية من أيدي الدين ، بعد نضال طويل ومعارك طاحنه ونزيف داخلي عميق.

أما في عالمنا الإسلامي اليوم وبسبب الصدمة الحضارية والفجوة العلمية والتكنولوجيا التي يعيشها المسلمون ،فقد حاولوا مسبقاً مصادرة الإنجازات العلمية الغربية، فحاول بعض الكتاب والمثقفون المسلمون أن يثبتوا أن وجود النظريات العلمية في النص القرآني هو أفضل برهان على إعجاز القرآن ومصدره الإلهي فوجدوا فيه علم الذرة وعلم الفلك وغيرها من المقولات العلمية، وهذه قراءة اسقاطية للقرآن تحاول أن تسقط عليه ما ليس فيه، والحقيقة أنه لا يضير القرآن الا يحتوي على الاكتشافات العلمية والفيزيائية الحديثة،فالقرآن كتاب ديني عظيم وليس كتاب في علم الجغرافيا أو التاريخ اوالذرة أو البيولوجيا، ولكن من شدة غيرة المسلمين عليه فإنهم يريدون أن يحتوي على كل شيء.

وهكذا يمكن أن نقول أن الآية انعكست تماماً فبعد أن كان الدين في الماضي هو الذي يضفي الشرعية على العلم ويؤكد صلاح أطروحاته وراهنيتها، أصبح العلم اليوم هو الذي يضفي الشرعية أو يراد له أن يضفي الشرعية على الإيمان ويبرر الأخذ بقضاياه ومقولاته الدينية أي أن علماء

---

[١] المرجع السابق، ص١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الدين هم أنفسهم تعلمنوا من دون وعي منهم وأصبحت معايير العلم الوضعي هي المعايير المرجعية في تفكيرهم الديني[١].

المبحث السادس:

الأرثوذكسية في الإسلام

نعلم أنه حصل انشقاق كبير في المسيحية بعد مناقشات حامية دارت حول تحديد: ما هو المذهب المسيحي الصحيح المستقيم أي حول الأرثوذكسية وهذا الصراع على الأرثوذكسية بين المسيحيين أدى في عام ١٠٥٤ التي انقسام الكنيسة المسيحية الموحدة إلى قسمين الكنيسة الأرثوذكسية في الشرق والكنيسة الكاثولوكية في الغرب.

من هنا جاء مصطلح الأرثوذكسية الذي يعني حرفياً الخط المستقيم ثم عمم المصطلح لكي يتجاوز حالة المسيحية فأصبحنا نقول مثلا الأرثوذكسية الإسلامية أو الأرثوذكسية اليهودية أو حتى الأرثوذكسية الماركسيه، ومعلوم أيضاً أن الفرق الإسلامية تخاصمت هي أيضاً على الأرثوذكسية أي على الإسلام الصحيح فالسنة يدعون احتكاره لأنفسهم والشيعة تفعل الشيء ذاته.[٢]

ويرى الباحث أن وجد في تاريخ الإسلام عدة أرثوذكسيات متناقضة لا أرثوذكسية واحدة وكلها تدعي احتكار الإسلام الصحيح أو الصراط المستقيم وكانت في نزاع مستمر ولا تزال حتى يومنا هذا، وهكذا نجد مثلا أن السنيين الذين رسخوا مواقعهم في ظل الخلافتين الأموية والعباسية وشكلوا الأغلبية قد رموا في دائرة البدعة والهرطقه كل الفئات والمذاهب الأخرى وعندما وصل الإسماعيليون الفاطميون إلى السلطة فإنهم فعلوا الشيء ذاته تجاه السنين وبقية المذاهب الأخرى.

ويرى الباحث أن سقيفة بني ساعدة وهو المكان الذي اجتمع فيه المسلمون لأختيار خليفة بعد موت الرسول(صلى الله عليه وسلم) كانت النواة الأولى لتشكل الأرثوذكسيات في الإسلام، فكل طرف حاول أن يفسر النص الديني لصالحه ويدعي أنه التأويل الصحيح، فالذين كانوا يرون أن سيدنا أبو بكر هو الأولى بالخلافة استندوا إلى حديث الرسول عليه السلام لعائشه "مروا أبا بكر فليصلي بالناس" والذين كانوا يرون أن سيدنا علي هو الأولى بالخلافة استندوا في بعض ما استندوا

---

[١] غليون، برهان، اغتيال العقل، مرجع سابق، ص١٨١.

[٢] أركون، محمد، ٢٠٠١، الإسلام، أوروبا الغرب، الطبعة الثانية، بيروت، دار الساقي، ص٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلى قول الرسول "من كنت مولاه فعلي مولاه" وغيرها من الأحاديث، وبالتالي نستطيع القول أن كل الانقسامات الموجودة بين المذاهب الإسلامية عبارة عن انقسامات تاريخية أي حصلت تاريخيا فيما بعد، ومن خلال زحمة الصراع على التأويل الصحيح والوحيد أي على الإسلام الصحيح، ويكفي أن نلقي نظرة على القرآن لنتأكد من أن الانقسامات لم تكن موجودة زمن النبي أو القرآن ،فالقرآن ليس سنياً ولا شيعياً ولا خارجيا القرآن لكل المذاهب وفوق كل المذاهب والانقسامات اللاحقة.

وقد نشأت الانقسامات فيما بعد لان بعض المسلمين تبنى التفسير الرمزي "الباطني" للنص المقدس والبعض الآخر تبني التفسير الحرفي "الظاهر"، بعضهم اتبع مدرسة الكوفة في النحو وقراءة القرآن وبعضهم اتبع مدرسة البصرة، وتنتج عن ذلك انقسامات وتأويلات وخطوط، ثم ترسخت هذه التأويلات أو التفسيرات المختلفة فيما بعد واختلطت بالصراعات العنيفة الدائرة على الخلافة أي على السلطة السياسية وأدت إلى نشوء الفرق والمذاهب.

إذن فالقرآن للجميع ويقف فوق الجميع لكن الحديث مختلف فهناك حديث سني "البخاري ومسلم" وهناك حديث شيعي "الكليني، ابن بابوية" وقد ترسخت مجموعات الحديث أثناء تشكل المذاهب ومن أجل دعمها وتقويتها وخلع المشروعية عليها. [1]

تلك إذاً هي العملية التي أدت إلى تشكل الأرثوذكسيات في الإسلام اي تشكل الأرثوذكسية السنية والأرثوذكسية الشيعية وستظل هذه الإسلاميات الصحيحة كل من وجهة نظره بالطبع، ترفض أن تواجه مشكلة التفسير بكل أبعادها وليس من خلال بعد واحد فقط ،لأن كل مذهب يستمر حتى هذه اللحظة في تكرار تراثه التأويلي الخاص.

ويرى الباحث أن الأرثوذكسيات الإسلامية عادت إلى الظهور اليوم من جديد أنظر مثلا إلى التنافس القائم الآن بين إيران التي أصبحت أمامية في عهد الخميني وبين العربية السعودية السنية، أننا نجد أن الرموز التاريخية العميقة قد برزت إلى السطح بكل قوة وأعيد استخدامها وتنشيطها من جديد من قبل كلا الطرفين لقد أعيد استخدام الدين كأداة حرب وكإستراتيجيات جغرافية وسياسية أو جيوسياسية من أجل السلطة أو الهيمنة.

([1]) أركون، محمد، مرجع سابق، ص٥٧-٦٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتكرر الصراع مرة أخرى على الإسلام الصحيح بين الحركات الاصوليه الإسلاميه وبين أنظمة الحكم في العالم العربي الإسلامي فمرة أخرى يصبح الدين كلاماً في السياسة، فالحركات الاصوليه تدعي أنها تمثل الإسلام الحق والدين الصحيح في مواجهة أنظمة قمعية متواطئة من ناحية، ومن ناحية أخرى مواجهة التحديات والمنجزات التي تفرضها الحداثة على مجتمعاتنا[١].

وبنفس الطريقة يتم مصادرة الدين من قبل أنظمة الحكم التي تدعي أنها تمثل الإسلام الصحيح ذلك الإسلام المعتدل المتسامح لتواجه به الحركات الأصولية من جهة ومن جهة أخرى تحاول تسويق وتغليف الحداثة وتقدمها لمجتمعاتها في محاولة مجتزئة لإظهار نوع من المواكبة والتقدم للغرب المتحضر، فهذه الأنظمة لا تستطيع استعارة منتجات الحداثة من الغرب كما هي، لذلك فهي تحاول أن تخلع عليها الغطاء الإسلامي لكي تقبل بها الجماهير مثل الإعلان الإسلامي العالمي لحقوق الإنسان وحقوق المرأة في الإسلام والبنوك الإسلامية وشركات التأمين الإسلامية وغيرها كثير، باختصار لقد تم تحويل الدين إلى نظام أيدلوجي هدفه الوصول السلطة أو تحقيق المزيد من السلطة.

المبحث السابع:

تجديد رؤيتنا للإسلام:

أشار الباحث في موقع سابق إلى أن الفكر العربي أو العقل العربي قد أصطبغ بصباغ الإسلام وبالتالي كان الدين الإسلامي هو الركيزة الأساسية في تشكيل الفكر العربي اليوم ويتعامل معنا الآخرون على أساس أننا مسلمون أكثر من كوننا عرب، ولذلك يرى الباحث بأن حل المشاكل المتعلقة بفهمنا للدين وتصورنا للإسلام هي في صميم العملية النهضوية أو التنموية لعالمنا العربي، ولذلك لا بد من إعادة تأويل النصوص الدينية على ضوء المكتسبات الإيجابية للعلم المعاصر لكي نستطيع مواكبة التصورات والمتغيرات المستجدة في المجتمعات الحديثة فمجتمعاتنا قد تغيرت كثيراً منذ أكثر من قرن وانقلبت بنياتها الاجتماعيه والسياسية والاقتصادية والثقافيه وبقي الفقه الاسلامي على حاله لم يتغير، ويمكن القول ان الفكر الاسلامي بمجمله من فقه وعلوم واجتهاد قد توقف

---

[١] المرجع السابق، ص١٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

منذ القرن الخامس أو السادس الهجري، وعلى الرغم من كل هذه المتغيرات فإننا لا نــزال نعــيش على فتاوى أئمة وفقهاء قدامى جداً بمعنى أن القرون الوسطى لا تزال تتحكم فينا حتى هذه اللحظة.

وأكثر من ذلك فحتى الفتوى رغم أنها قديمة ولا تلبي احتياجات العصر فإنها اتخــذت ومــا تزال جانباً سلطوياً، فهي تدل على السلطة أو هي سلطة بحد ذاتها وهذا ما يتجلى لنا بشكل واضــح عندما يصدر رجال الدين المأذونين (أي الرسميين) فتوى معينة فهم يفعلون ذلك لكي يــدلوا علــى سلطتهم وعلى قوتهم إنهم يربطونها بالسلطة السياسية، بل في بعض الأحيان هــي تبــرر الــسلطة السياسية فلذلك فهي فتوى قاطعة لا جدال فيها وعليها ،وبما أنها تمثل رأي الــسلطة فهــي الفتــوى الشرعية المستنبطة وفقاً للأحكام الفقهية وما غيرها باطل. (١)

مع العلم أن هناك طريقة أخرى لإصدار الفتوى أكثر حرية وأخلاقيــة ألا وهــي الفتــوى الناتجة عن المناظرة بمعنى أنه لا ينبغي إصدار الفتاوى النهائية قبل حصول المناظرة بين مختلــف الأطراف والآراء، فالمناظرة أو المناقشة الحرة المفتوحة هي التي تجعل اصدار الفتوى ممكناً، ذلك لأنه لا يمكن لشخص واحد أو لعالم واحد مهما علا كعبه في مجال العلوم الدينية أن يصدر الفتــوى لوحده، فحول مسألة معينة يمكن ان يكون هناك اربعة او خمسة فتاوى ممكنه ذلك ان اصدار الفتوى يعتمد على تأويل النصوص ولما كانت هناك عدة تأويلات ممكنة فإنه توجد عدة فتاوى ممكنة، كانت هذه المناظرات موجودة في العصر الإسلامي المزدهر عصر الإبداع والاجتهــاد وكانــت مــسألة الفتوى واحدة عن طريق القوة آنذاك. وعندما كانت السلطة السياسية تحاول أن تفرض فتوى واحــدة عن طريق القوة كان يوجد دائماً من يعارضها، وهذا ما جرى بالضبط للمعتزلة فقد رفــضوا ذلــك الموقف الأحادي الذي فرضته السلطة عن طريق القوة بخصوص مسألة خلق القــرآن، لكــن روح المناظرة والمجادلة والفلسفة الفكرية التي مثلتها ظاهرة المعتزلة أزهقت وأريق دمها على يد السلطة السياسية ولاحقت أصحابها في كل مكان فعندما أعلن الحقيقة القادر عقيدته القادرية وخطب فيها في مساجد بغداد وأباح دم المعتزلة وغيرهم من المذاهب الإسلامية، كان قــد اتخــذ قــرار سياســياً لا مشروعية له من الناحية الدينية لقد فرض رأيه القائل بأن القرآن غير مخلوق عــن طريــق القــوة المسلحة لا عن طريق المناظرة والاستشارة التي كان يمكن أن تجري بين مختلف العلماء المنتمــين إلى مذاهب مختلفة وآراء متشعبة، بمعنى آخر فقد قطع الحوار بقرار تعسفي صادر من فوق كما هو

---

(١)أركون، محمد، مرجع سابق، ص ٥٧- ٦٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حاصل في المجتمعات الإسلامية اليوم (الحوار ممنوع والاختلاف في وجهات النظر ممنوع وخنق الحوار يمثل تقليداً عريقاً في تاريخنا وبالتالي فإن مسألة الحريات الديمقراطية لا يمكن أن تطرح على مستوى الحاضر فقط وإنما ينبغي أن تجدر على مستوى الماضي العميق) لقد أوقفت السلطة السياسية آنذاك مناقشة خصبة كانت ستعطي شيئاً كثيراً لو استمرت لقد أغلقت الموضوع عن طريق القوة وبعد مرور الزمن المتطاول أصبحت نعتقد أن الحل الذي قدمته هو الحل الصحيح[١].

ونلاحظ اليوم أننا لا نستطيع استعادة هذه المناقشة أو فتح تلك الملف المعلقة منذ القرن الخامس هجري وذلك بسبب المناخ الأيدلوجي الحالي السائد في الساحة الإسلامية. بمعنى آخر فإنما كان ممكناً التفكير فيه في القرن التاسع والعاشر الميلادي أصبح مستحيلاً التفكير فيه في أوائل القرن الحادي والعشرين.

لقد وصلنا إلى مرحلة من الجمود استحال فيها علينا أن نفكر بشكل علمي وموضوعي بأي ملف ديني على الإطلاق فالقدسي والمقدس أصبح حجاباً حاجزاً بيننا وبين كل حقيقة علمية والواقع أنه يستحيل علينا مثلاً حتى أن تترجم إلى اللغة العربية عبارة نتشة الشهير (La Mortade Dieu) أي موت الله فقط كلمة إله مفرد آلهته يمكن أن تقبل وإن على مضض. أما كلمة الله فلا يمكن أن تستخدم إطلاقاً في ترجمة هذه العبارة. [٢]

ذلك المشهد يجعل أزمة الوعي الإسلامي تتجلى بشكل حاد وصارخ ويبدوا الصراع مروعاً بيننا وبين العصر الذي نعيشه فما المطلوب إذاً؟؟؟.

يرى الباحث أن المطلوب هو الانخراط في مهمة كبرى تتمثل في إعادة قراءة التراث العربي الإسلامي قراءة نقدية تاريخية مسؤولة ولا بد من استثمارات المعارف اللغوية الجديدة في دراسة النصوص الدينية وخاصة القرآن الكريم ولا بد من إعادة تشكيل فكرنا وعقلنا ومفاهيمنا على أسس أكثر علمية وموضوعية ولا بد أن نحدد ما هو الإسلام الذي نريد الإسلام الذي يصلح كل زمان ومكان، وليس الإسلام الصالح لذلك الزمان وذلك المكان، ما هي حدود العلمنة التي نرغب

---

[١] أركون، محمد، قضايا في نقد العقل الديني، ١٩٩٥، الطبعة الأولى، دار الساقي، بيروت، ص٥٢.

[٢] أركون، محمد، ١٩٩٨، كيف نفهم الإسلام اليوم، الطبعة الأولى، بيروت، دار الطليعة، ص ٢٠٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بها والتي لا تتعارض مع الدين، وكيف يمكن أن نجعل الدين علاقة طاهرة ومقدسة بين الفرد وخالقه وليس أداة أو وسيلة لمطامع ومطامح دنيوية.

ولنبدأ بحاجتنا إلى إعادة التعمق في قراءة القرآن الكريم لأن دراسة النص القرآني يمثل حاجة تاريخية ودينية معاً، إذ يمثل القرآن الرسالة الخاتمة للعالمين ويثبت الواقع التاريخي أن المناهج التي اعتمدت في تفسير القرآن حتى الان، لم تعد تنتج من التفسير إلا تكرار لما قيل في القرون الستة الهجرية الأولى ولم تعد هذه التفسيرات تلبي التطلعات والتساؤلات التي يطرحها الإنسان المعاصر، لهذا السبب برزت الحاجة لابتكار مناهج في التفسير الأمر الذي ولد في منتصف القرن الماضي منهج التفسير الموضوعي، وحيث أن الزمن كما يرى بعض الفقهاء أهم مفسر للقرآن فهو نص يتجاوز دوماً المنهج بقدر ما يفتح المنهج آفاقاً لقراءته فالقول بإحاطة الإنسان بمعاني القرآن قول لا يمكن الجزم به، فكل ما يحيط به الإنسان من المعرفة القرآنية سيكون إحاطة مرتبطة بحدود معارفه وتصوراته التاريخية، ففي الحين الذي نجد فيه النص لم يكن يتفسر بأكثر مما فسر به ولم يعد يقرأ الا بما قرىء به فان ذلك مؤشر على نفاذ طاقة المنهج، لا على جمود النص وتوقف التدفق السامي لمعانيه ويقول الكواكبي في هذا المجال (مع أنه لو أطلق للعلماء عنان التدقيق وحرية الرأي والتأليف كما أطلق لأهل التأويل والخرافات لرأو في الوف من ايات القرآن الوف ايات من الاعجاز، لرأو فيه كل يوم اية تتجدد مع الزمان والحدثان مبرهنا اعجازه بصدق قوله"ولا يابس ولا رطب الا في كتاب مبين"[1] ويقول أيضاً "أن كثيرا من آيات القرآن سينكشف سرها في المستقبل في وقتها المرهون تجديداً لإعجازه ما دام الزمان".[2]

لكن ذلك لا يعني بالضرورة القطيعة مع المناهج القديمة ذلك أن المناهج التي بنيت في التراث الإسلامي قامت على ضوء معايشتها للنص القرآني وعلى وعي حقيقي بموقعه بوصفه نصاً الهيا، والفهوم التي ولدتها تلك المناهج إذا كانت تختلف في الجزئيات فإنها في المجموع لا تتناقض بل تتكامل، بحيث يعد تجاوز أو تجاهل ذلك الإرث العلمي الضخم في تفسير القرآن ومناهجه خسارة جسيمة في حق مناهج البحث والتأويل المعاصر للقرآن، وبترا للتراكم المعرفي من ناحية ثانية، ويقول الإمام علي كرم الله وجهه عن القرآن الكريم (بأنه حمال أوجه) بمعنى أن النص نفسه

---

(1) الكواكبي،عبد الرحمن، مرجع سابق، ص٤٧.

(2) المرجع السابق، ص ٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يحتمل عدة تفاسير، ولذلك يجب على المسلمين استغلال كل ما توفره المعرفة الإنسانية واللغوية منها على وجه الخصوص لفهم كتابهم الكريم ، ذلك أن تحقيق المعاصرة يقتضي الاستفادة بما وصل إليه العصر نفسه، وإن كانت هذه الاستفادة محكومة بخصائص القرآن باعتباره إلهي المصدر وعربي اللغة ورسالة هدي للعالمين، ولا ينبغي أن نستغرب ما سيؤول إليه هذا الاستخدام للمعارف الحديثة ، فثمة نتيجتان حتميتان لذلك الأولى: الاهتداء إلى معاني لم يكن قد فكر بها من قبل ،ثانياً الكشف عن عيوب في الفهوم السابقة. والجهود التفسيرية التراثية على وجه العموم وهي بطبيعة الحال جهود بشرية مهما قلنا عن ضرورة احترامها فإن هذا الاحترام الكبير لن يرقى إلى مرتبة التقديس بالتأكيد[١].

لكن في المسيحية عندما قضت الحركة العلمانية على السلطة الكهنوتية لرجال الدين كانت قد أنجزت عملاً ضخماً وقفزت إلى الأمام خطوة كبيرة في اتجاه التقدم والتحرر البشري، هذا شيء مهم وينبغي أن نكون متفقين عليه ولا يجوز التقليل من حجم هذا الإنجاز الكبير الذي تحقق ضد الكنيسة بصفتها مؤسسة سلطوية، لكن ليس ضد الكنيسة بصفتها ذروة الهيبة الروحية، فعندما تكف الكنيسة أو الدين بشكل عام عن التلاعب بالذروة الروحية لصالح تأيد سلطة سياسية معينة عندها إذن نصبح حرة ومقبولة ولا غبار عليها. وعندئذ فقط يمكن أن تقوم بدورها الديني المحض أو الروحي على أفضل وجه، لأنها تكون قد تحررت من ملابسات السلطة وتفرغت للشؤون الروحية كلياً أن تخليص المسيحية من الهموم السلطوية والدنيوية العابرة واعادتها إلى وظيفتها الأساسية كان مفيد جداً للمجتمعات الأوروبية بل وللدين المسيحي في الدرجة الأولى، ولم يعد التدين يهدف إلى تحقيق المكاسب والمنافع، وإنما أصبح حراً خالصاً لوجه الله ، لم يعد المسيحي يتظاهر بالتدين كي يرد عن نفسه الأذى مثلاً أو لكي يحقق مكاسب مادية، إنما أصبح يتدين بدافع من حاجة داخلية عميقة وهذا هو التدين الصالح[٢].

---

[١] الحاج، عبد الرحمن، ما الحاجة إلى اللسانيات في قراءات القرآن الجديدة، جريدة الغد الأردنية، ٢٠٠٦/٩/٢.

[٢] صالح، هاشم، الإسلام أوروبا الغرب، ٢٠٠١، دار الساقي، الطبعة الثانية، (مترجم)، ص٢٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نادراً ما يتطرق المثقفون لعلم اللاهوت أو المثيولوجيا أي ما كان يدعي عند أسلافنا الكبار بعلم الكلام إضافة إلى علم الفقه والفتاوى وهو علم لا ينبغي أن نستهين به ،فالثورة اللاهوتية في الغرب قد سبقت الثورة العلمية والابستمولوجية أو رافقتها واحتضنتها ،ويمكن اعتبار مارتن لوثر مفجر أكبر ثورة روحية وثيولوجية في تاريخ الغرب الحديث فهو مؤسس حركة الإصلاح الديني الشهيرة.

ومن المهم الإطلاع على تلك الفترة وعلى أهم الكتب الثيولوجية التي رافقت الثورات الاجتماعية التحررية في تاريخ الغرب والمسيحية الغربية منذ لحظة لوثر وحتى اليوم فالثيولوجيا علم متطور وليس جامداً أو ثابتاً كما يتوهم المؤمنون التقليديون أنها ترافق حركة المجتمع وتطوره ومشاكله وحاجياته المستجدة، وربما كان توقف الاجتهاد في الإسلام منذ القرن الثاني عشر وحتى اليوم هو السبب الأساسي في إحساسنا بالخطيئة والذنب في كل مرة ننغمس فيها في المجتمع الحديث وحاجياته.

وربما كان هو السبب في إحساسنا بتلك الهوه العميقة أو الفجوة التي تفصل بيننا وبين ما تربينا عليه أو بين تراثنا وحداثتنا، فتراثنا توقف ولكن حركة الحياة والتاريخ لم تتوقف، وهكذا استيقضنا على وضع مزعج مفزع من القرن التاسع عشر، فتراثنا وعقائدنا التقليدية في جهة وحركة الحداثة الكونية والعصر في جهة أخرى، وهذا ما جعل المسلم يخشى الحداثة ويشعر تجاهها بنوع من انفصام الشخصية والقلق والاهتزاز، ولكي نتدارك هذا الوضع يجب أن نعيد النظر في الفكر الإسلامي وأن نطوره ونأوله لكي يتلاءم مع روح العصر ومستجدات الحداثة، وحاجيات مجتمعاتنا التي أصبحت مختلفة كثيراً عن حاجيات القرن الأول أو الثالث أو العاشر للهجرة. وبما أن المقارنة هي أساس كل معرفة وكل إضاءة فإنه يجدر بنا أن نلقي نظرة على تكون اللاهوت في أوروبا لكي نرى كيف عاش الوعي المسيحي التقليدي مرحلة التمزق الهائلة التي رافقت عملية الانتقال من الفضاء العقلي في القرون الوسطى إلى الفضاء العقلي الحديث، ينبغي أن نعرف كيف عاش الوعي المسيحي في الغرب عملية الصراع مع العقل العلمي والتاريخي المتنامي باستمرار، فالوعي الإسلامي سوف يشهد هذا الصراع وربما قد يكون قد انخرط فيه وإن على مستويات ومظاهر متفاوتة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إذا جازفنا في القول أن التراث لن يحقق لنا النهضة والتقدم الذي نريد وإنه بدلاً من ذلك لا بد من البحث في تبني النموذج الغربي القائم على الحرية والعلمانية، وإذا قلنا أن الدين هو أحد أسباب تخلفنا فيكف نستطيع أن نفسر نجاح أصحاب التراث نفسه الذي لا نرغب بالاستزادة منه وجعله مرتكزاً لانطلاقتنا، كيف نفسر نجاح الحضارة الإسلامية التي قامت على الدين وعلى نقيض ما قام عليه النموذج الغربي، فالحرية في الإسلام تنحصر في قبولك لأن تكون مسلماً أو لا تكون (لا إكراه في الدين) لكن بمجرد دخولك عتبة الإسلام فإن الآمر والناهي والمحدد لجميع تصرفاتك وأفعالك وأفكارك واعتقاداتك ووجهة نظرك هو الشرع الإسلامي ليس غير.

كيف نفسر إذاً هذه الحضارة الإسلامية وهذا النجاح الذي حققه المسلمون عندما انطلقوا يطوون المسافات في رقاع الكرة الأرضية الشاسعة وينشرون حضارتهم وثقافتهم هنا وهناك.

وإذا كان الدين هو العائق أمام تقدمنا اليوم وإن فصله عن الدولة والحياة هو الحل فهل كانت الحضارة الإسلامية بلا دين أو مسجد، وهل كان المسلمون علمانيون، وإذا كانت الحرية والديمقراطية هي الطريق فهل عاشها المسلمون أو ساروا عليها أو تمتعوا بها فعلاً هل من باحث أو فقيه يستطيع أن يثبت أن الإسلام كان يحتوي نظاماً سياسياً للحكم أو نموذجاً معيناً لاختبار الحاكم أو آية آلية شرعية متعارف عليها ومتفق عليها لاختيار الخليفة.

هذه الأسئلة وغيرها كثير تواجه الباحثين في سؤال النهضة ولعل الإجابة عليها لا تكون أبداً في المتناول القريب فليس من السهل تفسير ظاهرة الجمود أو الانحطاط التي تصيب الثقافات والحضارات كما أن البحث في عناصر ضعف وقوة الحضارة الإسلامية على وجه التحديد بحث شائك ويحتاج إلى جهد معرفي ومؤسسي كبير وأيضاً لأن مكونات الحضارة الإسلامية متداخلة ومتشعبة، كما أنه لا يمكن تبني التراث بالكامل فقد شهد التاريخ العربي الإسلامي لحظات مشرقة ومضيئة من الحرية والعدالة والروح النقدية كما شهد أيضاً مراحل مظلمة من القهر والظلم والاستبداد والانغلاق الفكري والتردي السياسي.

لذلك فالتراث لا يحتوي نموذجاً جاهزاً للتبني وإنما بحاجة إلى تحقيق وتدقيق وتمحيص وانتقاء إذاً نحن أمام طريق باتجاه واحد يقودنا إليه الواقعيون الذين يطالبون بتبني النموذج الغربي لأن نجاحاته ظاهرة وأسباب تقدمه واضحة لا تحتاج إلى دليل لكن السؤال أنه إذا كانت حضارتنا وتراثنا قد تراجعت أمام الحضارة الغربية والتي يتوجب علينا –كما يرى البعض- تقليدها فمن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يضمن أن لا تتراجع الحضارة الغربية أمام حضارة أخرى من جنس آخر وهل هناك من سبب يمنع تقهقر وانتكاس وسقوط الحضارة الغربية.

الجواب بالقطع لا، فالتاريخ الإنساني يعلمنا أنه لا توجد حصانة لأي حضارة كانت فالسقوط هو حتميتها كما الموت بالنسبة للإنسان لكن قد يكون اختلاف فيما بين الحضارات حول فترة امتدادها وازدهارها أو مستوى قوتها فالحضارات تولد وتشب وتسيب كما يرى ابن خلدون وهكذا تستطيع أن تقول أن الحضارة الغربية في طريقها للنهاية وبالتالي هل يمكن لنا كعرب ومسلمين أن نتبنى أو نسعى لنبني حضارة لدينا اقتناع مسبق بلانهائيتها.

ولكن لماذا هذا الحكم المسبق والمتسرع على الحضارة الغربية الجواب لسببين، لأن تاريخ الحضارات يعلمنا ذلك كما أسلفنا ولأنه يستحيل علينا التنبؤ بمسار التاريخ أو مستقبل التاريخ الإنساني لسببين أيضاً:

الأول: أن التاريخ الإنساني يتأثر قوياً بنمو المعرفة الإنسانية فلا يمكن لنا أن نتصور ما قد تكون عليه المعرفة الإنسانية بعد قرن من الزمان مثلاً وما لذلك من أثر على الأمم والحضارات، ونحن نعلم أن ما راكمته البشرية في مجال العلوم الطبيعية لآلاف السنين لا يساوي جزءاً يسيراً مما توصلت إليه الحضارة الإنسانية في القرنين الآخرين ١٨٠٠- ٢٠٠٠م.

لقد كتب أحد المؤرخين الأوربيين في نهاية القرن التاسع عشر قائلاً (إن العربة التي كان يستخدمها يوليوس قيصر لا تختلف كثيراً عن تلك العربة التي فر بها نابليون في معركة واترلو، في إشارة إلى البطء الشديد الذي رافق عملية التطور والتقدم البشري.

وما يعرفه طالب في السنة الأولى في كلية الطب أو الهندسة يوازي أكثر من كل ما كان يعرفه ابن سينا أو الرازي أو أقليدس أو ابن الهيثم في الطب والهندسة، بسبب نظرية التراكم المعرفي من ناحية وبسبب التطور العلمي الذي حدث في تلك المجالات من ناحية أخرى.

وهكذا لا يمكن لنا أن نتوقع كيف سيغير العلم حياتنا في العصور المقبلة وعلى ما يبدو فإن العلم لا يتطور تطوراً تدريجياً، بل يحقق قفزات في كل مجال، ففي عام ١٤٥٠ تم اختراع مطبعة غوتنبرغ قبل ذلك لتاريخ لم يكن في أوروبا سوى (٣٠) ألف كتاب، وقد كان التعلم والكتب ترفاً

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأداة لنخبة مثقفة حرصت على احتكار هذا الكنز الثمين وبحلول عام ١٥٠٠ فاضت أوروبا بـــأكثر من ٩ ملايين كتاب مما حفز عملية التفاعل الفكري التي مهدت الطريق لعصر النهضة.

في العام ١٩٩١ وبعد انهيار الشيوعية وتحطيم جدار برلين وفـــي لحظـــة حماســـة انـــدفع فرانسيس فوكاياما هاتفاً بنبوئته بنهاية التاريخ لأن العالم أخذ يتحول نحـــو المجتمعـــات الرأســـمالية الديمقراطية ولأنه لا يوجد في الساحة العالمية ما ينافس الليبرالية الغربية كأيدلوجيا، وهكذا التـــاريخ الإنساني قد توقف من وجهة نظر فوكاياما.

والحقيقة أن عقل فوكاياما وأفقه في تلك اللحظة لم يكونا قادرين على استخلاص أبسط العبر والدروس من التاريخ البشري أو أنه لم يعد يتذكر مقولة هيراقليطس الشهيرة "كل شيء في سريان، إنك لن تستطيع أن تنزل مياه النهر الواحد مرتين".

فالنبوءات الشاملة للتاريخ تقع خارج نطاق المنهج العلمي والمستقبل يعتمـــد علينـــا ولـــسنا معتمدين على أية ضرورة تاريخية[١].

وهكذا يخلص الباحث_ بعد استعراض سريع لتـــاريخ الحـــضارات الإنـــسانية؛ الحـــضارة الإغريقية، الحضارة العربية الإسلامية، الحضارة الغربية، نمـــوذج الاتحـــاد الـــسوفيتي، النمـــوذج الياباني، واليوم النموذج الصيني،_ إلى نتيجة مفادها أنه لا الدين ولا اللغة ولا التراث ولا القوميـــة ولا القوة العسكرية ولا القوة الاقتصادية هي أدوات تحقيق النهضة قد تكون أحد هذه الأدوات عامل مساعد في تحقيق النهضة لكنه ليس العامل الوحيد الذي بدونه لا يمكن أن تتم النهضة، قـــد تكـــون هناك عوامل مشتركة بين هذه الحضارات ساعدت على قيامها، وقد يكون هناك أيضاً عوامل وجدت في حضارة ولم توجد في أخرى وهكذا....

إلا أن الشيء الوحيد المشترك بين جميع الحضارات التي ذكرنا والـــسبب الرئيـــسي فـــي قيامها هو العلم والعلم فقط.

ويرى الباحث أن الفرضية التالية هي التي ينبغي تبنيها كإطار ومنهج للتغيير فـــي الـــوطن العربي:

---

(١) بوبر، كارل،١٩٩٨، المجتمع المفتوح وأعداءه، ترجمة السيد النفادي، الطبعة الأولى، لبنان، دار التنوير،ص١١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"العلم هو الذي يحقق النهضة وتاريخ التطور البشري هو تاريخ تطور العلم، هناك تراجع وانحسار للأمم والحضارات، لكن ليس هناك نكوص وردة في العلم، ويبدو العلم كطريق معبد تسير عليه الأمم، إذا ما انحرفت عنه فتلك مشكلتها".

يحاول الباحث إثبات أن العلم هو الطريق إلى الحضارة، وإن الدول المتحضرة هي الدول التي اتبعت وتتبع منهج العلم وأن خط العلم هو الخط الموصل إلى الحضارة، العلم هو الأساس الذي قامت عليه الحضارة الإسلامية وعندما توقف العلم العربي الإسلامي كما رأينا في فصول سابقة توقفت الحضارة العربية الإسلامية وكذلك ذبلت حضارة الإغريق عندما ذوي عود علمها، وعلى العلم قامت الحضارة الغربية وبعض النماذج الأخرى وما زالت.

إن الحياة البشرية عبارة عن حقول من المعرفة منفصلة ومختلفة في الجزيئيات ومتفقة ومتكاملة في الكليات، وعلى هذا الأساس طورت البشرية معارفها في التعليم والاقتصاد والإدارة والصناعة والزراعة والطب والهندسة والعلوم وكل مناحي الحياة، وأثبت منهج العلم بلا جدال أنه الطريق الأمثل لحل كل المشاكل الواقعية العملية التي واجهت البشرية ورافقتها.

المشاكل الراهنة التي يعاني منها الوطن العربي هي من ذلك النوع فالتخلف الاقتصادي مثلاً، يمكن القضاء بإتباع الأسس الحديثة العلم الاقتصاد، وكذلك مشاكل التعليم والإدارة والصناعة والزراعة والحال ينطبق على كل مشكلة من مشاكل الوطن العربي الراهنة حتى النظم السياسية فهي خاضعة لهذا المنطق، فالديمقراطية هي أفضل وأنبل شكل للحياة الاجتماعية شهدها الجنس البشري وطورها حتى يومنا هذا.

هذا ليس تكهناً بالمستقبل وليس تحصيناً للديمقراطية ضد تقويض دعائمها يوماً ما، ولكن هي أفضل ما أنتجته عقول البشر لغاية اليوم وسواء أكانت ستبقى أم لا فإن تطور العلم هو الذي يقرر ذلك.

من ناحية ثانية فإن إتباع الوطن العربي للمنهج العلمي يضمن له المحافظة على مستوى معين من التطور والتقدم وهذا ما يفسر لنا قدرة المجتمعات الغربية اللامتناهية على التجديد في كل أشكال ومناحي الحياة، فالغرب له الريادة في كل إبداع جديد، وقمة التطور في أي حقل من حقول

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المعرفة نجدها حصرياً في الغرب، والعالم كله يستهلك النظريات وأنماط المعيشة التي تنتجها المجتمعات الغربية.

والحقيقة أن لهذا ارتباط وثيق بخاصية مميزة للعلم وهي أن المنهج العلمي هو المنهج النقدي منهج المحاولة والخطأ منهج اقتراح الفروض الجريئة وتعريضها لأعنف نقد ممكن كيما يتبين مواطن الخطأ فيها، باعتبار كل حلقة معرفية مهما كانت متقدمة لا بد وأن تنتهي هي الأخرى إلى مشكلة تدخل في حلقة أخرى وهكذا ... بمعنى أن الجهود المعرفية لا بد أن تكون دوماً في حاجة لاستئناف المسير مما يعني إمكانية التقدم المستمرة، واعتبار العلم اليقين، العلم النهائي، من مخلفات عصور الجهالة[١].

(١) الخولي، يمنى طريف، ١٩٨٩، فلسفة كارل بوبر، منشورات الهيئة العامة المصرية للكتاب، ص١٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاستنتاجات والتوصيات:

١. إن التنمية السياسية يجب أن تكون المظلة الشاملة لكل أوجه التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية كون السياسة هي الأساس في كل تغيير.

٢. إن العالم العربي بأمس الحاجة لأي مبادرة إصلاح سواء كانت داخلية أو خارجية.

٣. إن مبادرات الإصلاح الخارجية مهما كانت دوافعها ومتطلباتها فإن التنمية الحقيقة لن تتم في العالم العربي ما لم تكن متبناه من قبل المجتمعات العربية ونخبها وما لم تعبر عن هوية الأمة وحضارتها.

٤. إن أي مبادرة خارجية للإصلاح لن تنجح إلا إذا تم حل المشاكل المستعصية في الوطن العربي وخاصة فيما يتعلق بالصراع العربي الإسرائيلي.

٥. إنه لا بد من التخلي عن فكرة الإصرار على جعل التراث المنطلق الأساسي لأي عملية نهضة.

٦. تبني العلم والمنهج العلمي هو الأساس الصحيح لأي عملية تنمية دونما النظر لثقافة الأمة وخصوصيتها لأن هذا المنهج لا يتعارض مع الثقافات والخصوصيات.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المراجع:

أولاً: المراجع العربية

- إبراهيم، حسين توفيق، (١٩٩٢)، **ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية**، ،بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
- إبراهيم، سعد الدين،(١٩٩٥) **اتجاهات الرأي العام العربي نحو مسألة الوحدة دراسة ميدانية**،الطبعة الثالثة، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
- إبراهيم، سعد الدين،(١٩٩٦)**المجتمع المدني والتحول الديمقراطي في الوطن العربي**، القاهرة، مركز دراسات التنمية السياسية والدولية.
- إبراهيم، سعد الدين،(١٩٩١) **النظام الاجتماعي العربي الجديد دراسة عن الآثار الاجتماعية للثروة النفطية**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية،.
- أبو بكر، توفيق،(١٩٩٩) **العرب الإصلاح السياسي التكامل الاقتصادي الإنماء الثقافي**، عمان، مركز جنين للدراسات الاستراتيجية،.
- أمين، سمير،(١٩٨٥) **أزمة المجتمع العربي**، القاهرة، دار المستقبل
- الأنصاري، محمد جابر،(١٩٩٥) **تكوين العربي السياسي ومغزى الدولة القطرية مدخل إلى إعادة فهم الواقع العربي**، ط٢، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية،.
- أوملیل، علي،(١٩٨٥)**الإصلاحية العربية والدولة الوطنية**، بيروت، ، المركز الثقافي العربي،
- بهاء الدين،احمد،(١٩٩٩) **المثقفون والسلطة في عالمنا العربي**،الطبعة الاولى،مجلة العربي،بيروت
- الجابري، محمد عابد، (٢٠٠٢) **تكوين العقل العربي**، الطبعة الثانية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
- الجابري، محمد عابد، (١٩٩٦) **المشروع النهضوي العربي مراجعة نقدية**، الطبعة الأولى، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
- الجابري، محمد عابد، (١٩٩٠) **إشكاليات الفكر العربي المعاصر**، الطبعةالثانية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية،.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- الجابري، محمد عابد، (١٩٩٢) **الخطاب العربي المعاصر، دراسة تحليلية نقدية**، الطبعة الرابعة، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
- الجابري، محمد عابد، (١٩٩٢) **وجهة نظر: نحو إعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
- الجمال، راسم محمد،(١٩٩٠) **الاتصال والإعلام في الوطن العربي**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
- حرب، أسامة الغزالي، (١٩٨٧) **العنف والسياسة في الوطن العربي**،عمان، منتدى الفكر العربي.
- حسيب، خير الدين (١٩٨٨) **مستقبل الأمة العربية: التحديات والخيارات التقرير النهائي لمشروع الاستشراف لمستقبل الوطن العربي**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
- سلامة،غسان ،(١٩٩٥) **ديمقراطية من دون ديمقراطيين سياسة الانفتاح في العالم العربي الإسلامي**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
- شرابي،هشام،(١٩٩٢) **النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي** ، ، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
- صعب، حسن،(١٩٦٩) **تحديث العقل العربي**، بيروت، دار العلم للملايين.
- طرابيشي، جورج،(١٩٨٥) **إشكالية الديمقراطية في الوطن العربي**، حوار مع الأستاذ جورج طرابيشي، عمان، منتدى عبد الحميد شومان.
- عبد الإله، بلقزيز،(٢٠٠١) **في الديمقراطية والمجتمع المدني**، دار أفريقيا الشرق، بيروت، لبنان.
- عبد الرحمن، حمدي،(٢٠٠٠) **التحول الديمقراطي في العالم العربي**، عمان، جامعة آل البيت،.
- عبد الله ثناء، فؤاد،(١٩٩٧) **آليات التغير الديمقراطي في الوطن العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- عبيدات، أحمد (٢٠٠١) **النظام السياسي العربي والديمقراطية**، الطبعةالاولى، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان.
- علي، الخليفة الكواري (٢٠٠٢) **المسألة الديمقراطية في الوطن العربي**، الطبعةالاولى ،بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
- غليون،برهان(١٩٨٥) **اغتيال العقل**، الطبعة الاولى ،بيروت،دار التنوير للطباعة والنشر،
- غليون،برهان(٢٠٠٣) **العرب وتحولات العالم**،الطبعة الاولى،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء.
- غليون،برها(١٩٩٤) **المحنة العربية الدولة ضد الامة**،الطبعة الثانية، مركز دراسات الوحدة العربية.
- الكتبي، ابتسام،(٢٠٠٤) **الديمقراطية والتنمية الديمقراطية في الوطن العربي**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
- لبيب، الطاهر (١٩٩٢) **الثقافة والمثقف في الوطن العربي**، بيروت مركز دراسات الوحدة العربية.
- محمود، زكي نجيب،(١٩٧١) **تجديد الفكر العربي**، بيروت، دار الشروق.
- هيجوت، ريتشارد،(٢٠٠٢) **نظرية التنمية السياسية**، ترجمة حمدي عبد الرحمن، عمان، المركز العلمي للدراسات السياسية.
- وهبان، أحمد،(٢٠٠٥) **التخلف السياسي وغايات التنمية السياسية**، الإسكندرية، دار الجامعة الجديدة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً : **المراجع بالإنجليزية**:

- El Hassan bin Talal (2004) the **Greater Middle East initiative, first published**, Amman, Majlis El Hassan.
- Fridman, Thomas, (2005) **the world is flat**, first edition, new York, farrar, straus.
- Ghassan salama ed.(1994) **Democracy without Democrats? The Rnhewal of Politocs in the muslim world**: London I.B. Iauvis..
- Goldstein, Thomas, **Dawn of Modern Science**(1995) Da Capo Press, New York,.
- Haass. Richardn.(2005) **The Opportunity**, Public Affairs, New York.
- Huff, Toby**, The rise of early modern Science Islam, china, and the west**,(1993)Cambridge University Press,.
- Kaku, Michio,(1998) **Visions: How science will revolutionize the 21 st Century and beyond**, Oxford university prees.
- LESCH, DAVID, (2003). **The Middle East and the United States**, West view Press, United States.
- NisBett, Richard,(2003) **The Geography of thought**, free press, New York,.
- Samuel Hantington,(1991) **the Thirds wave: Democrtiztion, in the late Twenteth Century**, Norman University of oklahoma Press.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

THE IMPACT OF GREATER MIDDLE EAST INITIATIVE ON THE POLITICAL DEVELOPMENT IN THE ARAB WORLD

BY

ABDALLAH MAHMOOD ALSWALHA

SUPERVISOR

DR .GHAZY RBAB`A

Abstract

The study addressed the reasons prohibiting progress and advancement in the Arab world difficulties standing in the way of democratic change and not responding to internal or external political development and political reform initiatives.

The study demonstrates the most important related initiatives including the Greater Middle East Initiative, European reform initiatives and internal initiative adopted by Arab elites.

The study pass by the role played by these initiatives in political reform by these initiatives in political reform and its reflections on Arab region: politically, economically, culturally and socially.

The study also indicates some deficiencies some aspects of human civilizations were reviewed comparing these civilization with Islamic Arab civilization. The study also addressed the Impact of some international variables on Arab world.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

www.manaraa.com